18
العـدد الـثـامـن عشر
ربيع الاول 1441 هـ
ديسمبر 2019 مـ

كانو الثقافية

مجلـة ثقافيـة نصف سـنوية - تصدرهـا جـائزة يوسـف بـن أحمـد كـانو

الأمم الأكثر ازدهارا على الكرة الأرضية.. الأكثر اتجاها نحو الجريمة!

التربية الإيجابية في ضوء الذكاءات المتعددة

الجائزة ورؤيتها المستقبلية..
أ. خالد محمد كانو

المرأة الخليجية والكتابة النقدية
د. فهد حسين

الشَّرق العربي والغرب (المؤثرات الثقافية العربية في نهضة الغرب)
د. عصام خليل الدايح

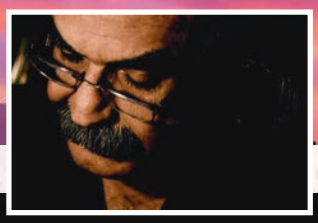

طـاقـة الـتـأمـل فـي الـفـعـل الـشـعـري

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات
Contents

06
الجائزة ورؤيتها المستقبلية..
أ. خالد محمد كانو
رئيس التحرير

08
الخطاب الروائي العربي المعاصر وتفوّقه على بقية الخطابات الأدبية الإبداعية
أ.د. محمد عبد الرحمن يونس

20
طاقة التأمل في الفعل الشعري
قاسم حداد

26
المسجد النبوي الشريف..منارة دينية وعلمية (٢-٢)
أ.د/ رضا عبد الواجد أمين

38
الأمم الأكثر ازدهارا على الكرة الأرضية..
الأكثر اتجاها نحو الجريمة!!
أ.د أحمد العساف

56
القانون.. تلك الرسالة التي تحمل كل المعاني..
أ. مبارك سعد العطوي

60
التربية الإيجابية في ضوء الذكاءات المتعددة
نحن مدينون للصغار بتنمية مهاراتهم
د.هدى صباح

72
الشَّرق العربي والغرب
((المؤثرات الثقافية العربية في نهضة الغرب))
د. عصام خليل الدايح

82
المرأة الخليجية والكتابة النقدية
د. فهد حسين

88
مرآة في المرآة
قصة الكاتب الهندي: مادو راي
ترجمة: عبدالقادر عقيل

92
كتاب العشق
أ. عبد الحميد القائد

94
متطلبات تعزيز الثقافة التنسيقية في العمل الخيري
د. نادية محمد السعيد الدمياطي

112
الرجل الأعمى
قصة الكاتبة الأمريكية: كيت شوبان
ترجمة: أميرة الوصيف

116
بابور أم هاشم
قصة قصيرة
محمد عباس علي

118
رئيس مجلس الأمناء يطمئن على سير العمل بالجائزة
أ. مبارك سعد العطوي

www.ybakanooaward.com

جائزة يوسف بن أحمد كانو
Yusuf Bin Ahmed Kanoo Award

رئيس التحرير
خالد بن محمد كانو

مدير التحرير
مبارك بن سعد العطوي

جميع المراسلات بإسم مدير التحرير
ص.ب: 1170
المنامة – مملكة البحرين
هاتف: 17226153(973+).
فاكس: 17226154(973+).
البريد الإلكتروني
kanoo_awd@hotmail.com

جرافيكس
الرافد ميديا ذ.م.م
Al Rafid Media W.L.L
alrafidmedia@gmail.com
+973 39139122

المؤسسة العربية للطباعة والنشر
رقم التسجيل: SYKCO 786

مجلة علمية ثقافية شاملة تأسست عام 1429هـ - 2008م
تصدر عن جائزة يوسف بن أحمد كانو - بمملكة البحرين
العدد الثامن عشر - صفر 1440هـ - ديسمبر 2019م

قواعــد النشر

- غايتنا المساهمة في تنمية الإبداع والثقافة والتقدم العلمي.
- المجلة ترحب بالبحوث والدراسات في جميع المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة توضيحية وليست مرجعاً للحدود الدولية.
- البيانات والإحصاءات تقريبية.
- ما ينشر يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر عن رأي المجلة.
- يجوز الاقتباس مما ينشر شرط الإشارة إلى المجلة ورقم العدد وتاريخ الإصدار، وإلا اعتبر خرقًا لقانون الملكية الفكرية.
- يسعدنا أن نتلقى رسائلكم وملاحظاتكم بواسطة البريد أو على البريد الإلكتروني.

هيئة التحرير

الشَّرق العربي والغرب.. ((المؤثرات الثقافية العربية في نهضة الغرب)) 75

متطلبات تعزيز الثقافة التنسيقية في العمل الخيري 30

التربية الإيجابية في ضوء الذكاءات المتعددة 60

أ. خالد محمد كانو
رئيس التحرير

الجائزة ورؤيتها المستقبلية..

تنطلق الجائزة بعد تجربتها ومسيرتها الرائدة لرسم مسارات جديدة ضمن رؤيتها لزيادة إسهاماتها وتطوير برنامجها بالانتقال إلى مشروعات أكثر جرأة وأكثر نوعية من دعم للأبحاث العلمية وفتح لمساحات داعمة للمتميزين من الشباب والمبدعين من الباحثين والمفكرين في جوانب المعرفة كافة، من أجل أن تلامس هذه النقلة أهم القضايا والاحتياجات العلمية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تواجه المجتمعات؛ ليكون للجائزة دور وإسهام في خدمة العلم والإنسان والمجتمع.

ويُجري المجلس البحث والدراسة لتطوير أدائه من أجل اختيار أفضل السبل والمجالات لتحقيق هذه الأهداف والغايات كافة.

لقد حققت الجائزة كثيرًا من النجاح والإنجاز طوال مسيرتها؛ لتواكب كل المستجدات والمشروعات ذات الطابع التنافسي والمميز، وهي تنتقل في كل عام لطرح كل ما هو جديد وتقديم المقترحات والحلول للنهوض بها وتحفيز العلماء والمبدعين

والباحثين لزيادة طاقتهم ونتاجهم وتشجيعهم؛ للإسهام بصورة إيجابية، ليس على مستوى المنطقة فحسب، بل على المستوى الإقليمي والعالمي أيضًا.

وستظل هذه الجائزة مرآةً وراصدًا لكل المتغيرات التي تتطلب جهدًا نوعيًا من أجل خدمة الإنسان والمجتمع. وسوف نقوم بطرح كثير من المبادرات التي من شأنها تعزيز هذا الدور بالصورة العلمية المميزة مع الحضور بكل إيجابية على المستويات والمواقع الإعلامية المسموعة والمقروؤة والمرئية ومواقع التواصل الاجتماعي كافة، بالتعاون والتنسيق مع الهيئات والمؤسسات المتخصصة في جميع مجالات العلوم والمعرفة المحلية والإقليمية.

واللّهَ نسأل أن يكلل جهودنا بتقديم مزيد من الرؤى والمبادرات الجديدة والرائدة من أجل الارتقاء بهذه الجائزة المباركة ودورها؛ لتحقيق الأهداف التي من أجلها أنشئت.

والله الموفق.

رئيس التحرير

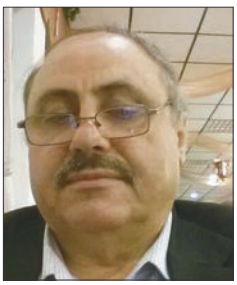

أ.د. محمد عبد الرحمن يونس
عميد كلية اللغة العربية بجامعة ابن رشد في هولندا
نائب رئيس جامعة ابن رشد للشؤون الأكاديمية التعليم الإلكتروني

الخطاب الروائي العربي المعاصر وتفوّقه على بقية الخطابات الأدبية الإبداعية

أهم المواضيع والأطروحات التي طرحها الخطاب الروائي العربي المعاصر

إن ازدهار الرواية العربية ونموها كان وليد إرهاصات مجتمعية وفكرية وثقافية وسياسية، وقد تزامن هذا الازدهار مع ازدهار حركة الفكر والمجتمع العربي وانفتاحه معرفيا وثقافيا وسياسيا على معارف العالم الآخر وحضاراته وثقافاته, وقد كانت الرواية العربية المعاصرة انعكاسا لواقع المجتمع العربي بعامة , ولواقع كل بدل عربي ببعده الجغرافي والثقافي والتاريخي والسياسي وعاداته وعلاقاته الاجتماعية بخاصة , و في آفاقه وتطلعاته وأحلامه الكبرى في تحقيق العدالة والحرية والتخلص من شتى صنوف الاستلاب والاستبداد, ولذا قلّما نجد رواية عربية معاصرة إلاّ وتنهل من هذا الواقع، ففي الرواية المعاصرة (صار أبطال الرواية يجابهون الواقع المبتذل الذي يقيم العقبات في وجوههم ويرغمهم على الخضوع لمواضعات الأسرة, والمجتمع، والدولة والقوانين , ومقتضيات المهنة).

إنّ للخطاب الروائي، باتساع فضاءاته وتعددها، وقدرتها على استيعاب خلفيات معرفية مرجعية متعددة ، قدرة كبيرة على تسجيل أدّق تفاصيل الآخر الاجتماعي والسياسي ، في بعده الإنساني من جهة ، وبعده الشرير والتدميري من جهة أخرى

وقد حظيت الرواية العربية باهتمام بالغ من قبل منتجيها وقرائها ودارسيها، في مختلف دول الوطن العربي، وبخاصة ابتداء من الربع الأخير من القرن العشرين، وحتى أيامنا هذه. وإذا كان الناقد جورج لوكاش، قد عدّها سابقا (ملحمة البورجوازية المعاصرة)، فإنه يمكن القول: إنها ملحمة الحياة العربية المعاصرة، بهمومها، وتطلعاتها، وآفاقها العريضة، وعلاقاتها السياسية والثقافية والاجتماعية، إنها الحقل المعرفي الذي يمتح من حقول معرفية متعددة، ليشيد عالمه الخاصّ، الموغل بعيدا في أعماق النفس البشرية، بهمومها، وفواجعها، وفضاءاتها المعتمة والبائسة قديما وحديثا، ولا عجب أن يعدّها كثير من الدارسين والقراء بما وصلت إليه من تقنيات كبيرة واعية، على مستوى الشكل والمضمون ديوان العرب المعاصر، بعد أن تراجع الشعر العربي، وقلّ قراؤه ودارسوه وناشروه، وقلت الرسائل والأطروحات الجامعية التي تنجز حوله، مقارنة بالاحتفاء الواسع الذي حصدته الرواية العربية، إذ قلما نجد شعبة من شعب الدراسات العليا في الجامعات المعاصرة، إلاّ ونجد غير موضوع في هذه الرواية، ونقدها ودراستها، والتأطير لها، ودراسة بنياتها وفنياتها الجمالية، وموضوعتها، قد سُجِل في هذه الجامعات موضوعا بحثيا ونقديا للحصول على شهادات الماجستير والدكتوراه.

إن الرواية العربية المعاصرة تفوق بقية الخطابات الإبداعية الأخرى، وذلك في قدرتها الكبيرة على تشكيل فضاءات متعددة ونامية، داخلية وخارجيّة، وتجسّد هذه الفضاءات حركة الشخصيات، وهمومهم وآلامهم وآمالهم وتفاعلاتهم مع محيطهم الثقافي والاجتماعي والمعرفي، وليس شرطا أن تكون هذه الفضاءات واقعية، بل كثيرا ما تكون تخيّليّة، أو منفيّة أو غائبة عن المكان المعروف بطبوغرافيته المحدودة، فتبدو بعض الأمكنة أسطوريّة أو خرافيّة أو حلميّة، أو موغلة في التاريخ القديم للأمم والحضارات القديمة والبائدة، غير أن الروائي العربي، وحين استحضاره لهذه الأمكنة، بشتى أشكالها ومظاهرها الأسطوريّة أو الخرافيّة، لا يبتعد كثيرا عن الفضاءات الواقعية العربية، بقيمها الكبرى وعاداتها وأعرافها، وبنيتها، وآفاقها المعرفية. وعلاقاتها الاجتماعية. .

ولا يمكننا أن ندرس الرواية بمعزل عن الفضاءات الاجتماعية التي تتحرك فيها الشخوص الروائية، ولا بمعزل عن الفضاءات المكانية التي تتم من خلالها حركة الشخوص الروائية، ومن داخل فضاءاتهم الاجتماعية والإيديولوجية، فـ (المتكلم في الرواية هو دائما وبدرجات مختلفة، منتج إيديولوجيا (Ideologue)، وكلماته هي دائما عيّنة إيديولوجية (Ideologeme)، واللغة الخاصة برواية ما، تقدم دائما وجهة نظر خاصة عن العالم، تنزع إلى دلالة اجتماعية،

ولّما كان الخطاب على وجه التدقيق نصا إيديولوجيا، فإنه يصبح موضوعا للتشخيص في الرواية، وأيضا فإنه يجنب الرواية أن تغدو لعبة لفظية مجردة)[2].

الفضاء الروائي في الخطاب الروائي العربي المعاصر

وتتعدد فضاءات الرواية العربية، لأن السرد الروائي لا ينمو، ولا يرتحل ولا يشكل وحداته السردية، أو شخوصه الرئيسة أو الثانوية إلا من خلال هذه الفضاءات، وتبدو هذه الفضاءات كثيرة جدا في الخطاب الروائي العربي المعاصر، ومن أهمها : فضاء المدينة وفضاء الريف والبادية، وفضاء المنازل والحوانيت والشوارع والمقاهي، والسجون،، والخمارات والجامعات والمساجد، والأندية الثقافية والفكرية، والحدائق العامة، وغيرها من الفضاءات الكبيرة ، والأخرى الصغيرة الفرعية التي تتفرّع منها، ولعل من أهم هذه الفضاءات وأكثرها استيعابا للوحدات الروائية الكبرى والصغرى ولمجمل أحداث الرواية ومضامينها،هو فضاء المدينة.

و من المعروف أن المدن تكون، بشكل عام، حاضنة للآداب والفنون ومختلف الثقافات والتيارات الفكريّة والمعرفيّة، وحتى التيارات الدينية والمذهبية، وداخل فضاء هذه المدن تنمو المعارف والعلوم والفلسفات، وتتطور الأجناس الأدبيّة، و تزدهر، وبالتالي فإن الرواية، بوصفها خطابا أدبيا، هي بالدرجة الأولى خطاب مديني، وليست خطابا ناتجا عن فضاء الصحراء أو البادية أو الريف، فالصحراء والريف والبادية فضاءات لا تنتج معرفة بفن الرواية، ولا نظريات معرفية بقوانين تشكّلها وبنائها ونقدها، ومن هنا فإن الرواية لا تتشكل في الريف والبادية، لأن فضاءات الريف والبادية هي فضاءات تحتضن الخرافات والأساطير والفلكلور الشعبي، والعادات القبلية والبدوية والعشائرية، وتنميها، وتنطلق من خلالها لتقيم علاقاتها وقيمها التي لا تكون، في أغلب الأحيان، رافدا من روافد الخطاب الروائي بتقنياته المعرفيّة والسرديّة، فالمدينة هي حاضنة الفن والرواية والمعرفة و(إذا أردت أن ترفض الفن فلك أن ترفض المدينة، كلاهما توأمان.. وإذا أردت الفن فعليك أن تعانق المدينة.. الريف لا ينتج إلاّ الفولكلور)[3].

> الرواية (فن يعتمد على أناس في مجتمع ما يعيشون أنماطا متباينة جدا من الحياة)

وتعدّ المدينة فضاء مهمّا في الرواية العربية المعاصرة، بل هي أهمّ هذه الفضاءات، كونها تشكل حقلا معرفيّا ثرّا تنهل منه الشخصيات الروائية المعرفة، ومن خلال هذا الحقل تطّلع الشخصيات على الكتب والصحف والمجلات وعلى النظريات المعرفية الجديدة التي تفد إلى هذه المدينة أو تلك، وفي هذا الفضاء الكبير توجد الفضاءات الفرعية الأخرى، مثل

المقاهي العادية، والمقاهي الثقافية، والمطاعم والحانات ودور اللهو والمسارح والسينما، و نوادي الليل، وبيوت الدعارة، ومقرّات الأحزاب السياسية والمساجد والكنائس، والحدائق العامة، وغيرها، وهذا الفضاء حامل بامتياز للتباينات الفكريّة والمعرفيّة المتعددة. وجميع هذه الفضاءات تسهم في نمو السرد واتساعه، وانتقاله من مدينة إلى أخرى، وبالتالي تتسع الأحداث لتشمل أكبر قدر من الرؤى والأفكار والأحداث.

إن فضاء المدينة هو حيّز جماعي للمجموعات البشرية التي تعيش فيه، وتتفاعل، وترتبط معها في جميع علاقاتها، و(يرتبط البشر ارتباطا وثيقا وحيويا بالمكان الذي يعيشون فيه. فالإنسان يعيش في جسده وبه، و يموت إذا أصيب هذا الجسد. ولكن هناك مساحة تجاوز جسد الإنسان، ولكنّها لا تقلّ أهمية بالنسبة لحياته، و هذه المساحة تختلف على المستوى الفردي أو الاجتماعي أو القومي، ولكنّها محدودة ومعروفة على هذه المستويات جميعا. و تمثّل هذه المساحات دوائر متراكزة تتسع من حيّز فردي يمارس فيه الفرد حياته اليومية، إلى حيّز جماعي تنظّمه الجماعة لتحافظ على تماسكها وتناغمها[4].

فضاء المدينة في الرواية فضاء حامل للمعرفة ومنتج لها

وفضاء المدينة هو فضاء حامل للمعرفة بامتياز، ومشكّل لهذه المعرفة، غير أنه وإن كان فضاء جماليا معرفيا في كثير من النصوص الروائية المعاصرة فضاء استلابي خانق، لا يسهم في فرح الشخوص الروائية، ولا في تشكيل حال من الأمان والطمأنينة و الانسجام الجمالي والروحي لدى هؤلاء الأشخاص، فهناك مظاهر سوداء خانقة في فضاء المدن العربية، هناك الفقر والبطالة والتمايز الطبقي، و الجريمة و العنف و الاغتصاب والقتل، هناك الوجه السلطوي الذي يفرض ملامحه على علاقات المدينة و قيمها، هذا الوجه الذي لا يترك فضاء إلا و يتدخل للسيطرة عليه، أو إفساده.

إنّ الرواية في فضاءاتها المكانية الناميّة والمتعددة، على حدّ تعبير كريستوفر كودويل (فن يعتمد على أناس في مجتمع ما يعيشون أنماطا متباينة جدا من الحياة، وإنّ هذه الأنماط تتداخل وتتصادم في ما بينها فتوجد أحداثا تصوّر بدورها كيانات إنسانية متباينة جدا، وهذا كله يهيئ المادة التي يجعل منها الروائي فنا قصصيا. ولذا فإنّ الرواية لا توجد إلاّ في المجتمعات الناميّة والمدن الكبيرة. حيث تتوفر هذه الأنماط الحياتية المتفاوتة، وحيث هي دائما ممكنة، وفي صيرورة)[5].

ويمكن القول إنّ من أهمّ مزايا الرواية العربية المعاصرة (الامتداد والتنوع والابتكار)[6]، ومن داخل الفضاء المكاني يتمّ هذا الامتداد وهذا التنوع، فوصف العلاقات القائمة في المكان، بشتى أشكالها، هو الذي يسهم في نمو الفضاء المكاني، ولا نغالي إذا قلنا إن المكان هو الحاضن لمجمل الطرائق الفنيّة والجماليّة التي يقوم عليها البناء الروائي، فمن خلال المكان ينمو السرد ويتشعّب، ويتجدد الحوار، وتوصف الأشكال، وتنمو الشخصيات وتتوالد مشكّلة الرئيسة والثانوية منها في آن.

وإذا كان ازدهار الفن الروائي مرتبطا بنشأة المدن الكبرى، وعلاقاتها المتعددة والمتباينة المتغايرة، وبالتالي المتنوّعة والمتناقضة، فإنّ هذا الارتباط لم يمنع الروائي العربي من الاحتفاء بفضاء الريف وعاداته وعلاقاته التي يراها لم تتلوث بعد، والإشادة بهذه العلاقات والعادات، وبخاصّة عند الكتاب الرومانسيين الذين يلوذون بفضاء الريف، ويعتبرونه ملاذا آمنا للطمأنينة الروحية والإنسانية، فلقد كانت (الرومانسيّة على المستوى العربي نقطة البداية الصحيحة لرواية عربية تنهض على قيم فنيّة ناضجة، فالرومانسية سمة غالبة على البدايات المتعددة في مناطق مختلفة من الوطن العربي)[7].

وحتى نستطيع فهم بنية الرواية وخطاباتها الفكريّة، ينبغي أن نولي السياق التاريخيّ والاجتماعي التي نشأت فيه أهميّة خاصّة، لأنّ هذا السياق في نهاية المطاف يمكن أن يلقي ضوءا مهمّا على نمو الشخصيّات الرئيسة والثانوية، لأنه إطار مرجعي تنمو فيه هذه الشخصيّات فكريا، ومن منحى آخر تتحدد سلوكياتها وعلاقاتها الاجتماعية، وهذا السياق بدوره يؤثّر في بنية الفضاء المكاني، ويحدد امتداده.

> عندما نقرأ عملا قصصيا فإننا لا نقرؤه بعقل بكر ومحايد فالبكارة العقلية لا وجود لها كما أنّ الحياد النصيّ خرافة

بعض أنساق الإيديولوجيا في الخطاب الروائي العربي المعاصر

و من خلال بينة هذا الفضاء الروائي وتشكلاته أدانت الرواية العربية معظم مظاهر الفساد الأخلاقي والإداري والمؤسساتي، وحالات التخلّف والأمراض الاجتماعية، ومظاهر الاستبداد أيا كانت أشكاله التي تحكّمت في بنية المجتمعات العربية المعاصرة سياسة واقتصادا، وفكرا ومنظومات أخلاقية ومجتمعية.

وقد ركز الخطاب الروائي العربي المعاصر على مظاهر الحريات العامة، و أشار إلى أن أفق ممارستها هو أفق ضيق جدا، وغير متنام أو متجدد في العالم العربي، وبالتالي هو غير فاعل، أو ملغى، وذلك نظرا لعدم قدرة المثقفين والأدباء العرب على التصريح بآرائهم ومكنونات نفوسهم، مما دفعهم لأن يتبنوا إيديولوجيا مضادة لإيديولوجيا الدولة التي يعيشون فيها، ولبنيتها المعرفية أيضا، فهم الطرف الأضعف والمسلوب الإرادة، في حين أن الدولة تشكّل منظومة قوية متكاملة من الأعراف والقوانين والمفهومات والنظريات التي يصعب اختراقها، لأنها (تملك سلطة قسرية تعلو قانونا على أي فرد من أفراد المجتمع، أو أي جماعة من الجماعات التي هي جزء من هذا المجتمع. ومن ثمّ تكون الدولة وسيلة خاصّة لممارسة السلطة. وهي خاصّة لأنها عليا، وهي خاصّة أيضا لأنّها قسرية. وما من سلطة أخرى في المجتمع تستطيع أن تكون لها سلطة مماثلة ما لم تكن مفوّضة من الدولة في ذلك. فالدولة عموما، هي وحدها التي لها الحق الشرعي في أن تقتل وتسجن رعاياها،

وأن تستخدم قوتها المسلحة لتجبرهم على قبول قراراتها)[8].

إن السلطة السياسية، باختلاف مظاهرها وأفعالها، تتحكم في بنية الدولة، وتفرض حصارا خانقا حول طبقات المجتمع كلها، فتبدو كابوسا مرعبا، حاضرا في حركات المواطنين ومواقفهم، ومواقعهم أنّى كانوا، وكيفما توجهوا، وكابوس الخوف هذا يشكل شرخا حادا بين أفراد المجتمع، مهما كانت درجات صلاتهم وقرابتهم، ويجعلهم مستلبين غرباء داخل أوطانهم، ومنازلهم، والفضاءات التي يوجدون فيها، ومهما تعددت هذه الفضاءات. وقد ركّز الخطاب الروائي المعاصر على مظاهر هذه السلطة وأفعالها، و قدراتها الكبيرة، وجعل منها مادة سردية ثريّة جدا، بتعدد رؤاها وتعدد مضامينها وأطروحاتها الفكرية والإيديولوجية. وقد أسهم هذا التنوع بدوره في تشكيل مزيد من الفضاءات الروائية، أو توسيعها إلى فضاءات فرعية أخرى تحتضن مزيدا من التنوع والتغاير والتباين في بنى الحياة العربية المعاصرة.

وقد برزت أنساق هذه الإيديولوجيا واضحة في الخطابات الروائية العربية المعاصرة، إذ ركّز السرد عليها مشكلا ساردين وشخصيات حاملين لها و داعين لتبنيها، ومعادين في الوقت نفسه لإيديولوجيا النظام المعرفي و الثقافي المكرس والسائد في مجتمعاتهم، و قد تجلت مهمة هذه الإيديولوجيا في الرفض والإدانة، وتعرية مظاهر الفساد والتخلف والثبات المخيّمة على حياة مجتمعاتهم. وهنا يمكن القول: إنّ (الأدب ليس عالما سحريا مغلقا، إنّه جزء من الإيديولوجيا، له خصائصه التي يتفرّد بها والتي نسميها عادة الإبداع الأدبي، وهي تتركز في نقطتين رئيسيتين :

إنّه يتفاعل أساسا مع اللغة، فمادة الأدب الرئيسة هي اللغة. لذلك فهو يعيد ترتيبها ويعيد تنظيم دلالاتها الخاصة من جديد. من هنا يكتسب الأدب دورا رياديا خاصا به.

ب) إنه نتاج تقوم به شريحة اجتماعية هي فئة المثقفين. والإنتاج لا يتم في فراغ. إنّه يتمّ داخل حقل ممارسة هو الصراع الطبقي، عبر تداخل المثقفين اجتماعيا مع الطبقات المتصارعة).[9].

إذا كان الحياد النصيّ ظاهرة تجاوزها النقد، والبكارة العقليّة لا أساس لها في قراءة النصوص الروائيّة والقصصيّة، وفهمها، فإنّ وجهة نظر السارد في العمل الروائي لا يمكن أن تكون محايدة، في تعاملها مع الشخصيّات، والملامح التي توجّه سير هذه الشخصيات وسلوكها، وهذه النظرة اللامحايدة هي التي تحوّل الرواية إلى خطاب" أطروحة" يمتح من نسق الإيديولوجيا، وهي التي تعطي شخصيّة روائيّة معينة بعدا جماليا، وامتدادا شموليا، في حين تبدو شخصية أخرى تفتقر إلى هذا البعد الجمالي، فينفر منها المتلقي.

ف "عندما نقرأ عملا قصصيا، فإننا لا نقرؤه بعقل بكر ومحايد. فالبكارة العقلية لا وجود لها كما أنّ الحياد النصيّ خرافة دحضها النقد منذ زمن طويل، ولا نحاول فحسب أن نستنبط القصّة التي يحاول النصّ القصصي حكايتها لنا، وإنّما

نقـرؤه مـن خـلال عقل صاغت قدرته على الفهم والقراءة ترسبات الخبرات القرائيّة المختلفة، ومواصفات النصوص التي سبق استحسانها أو استهجانها على السواء. ومـن هنا فإنّه يقرأ النص من خـلال هذه القراءات، ويدخل في عملية صراع لا تفاعل مع شفراته النصيّة المتعددة"[10].

إن(النصوص/المراجع تشكّل دومـا عند قراءتها مجالا لانتظام كلام آخـر، هو كلام القـارئ، وهـذا الكلام يختلف من قـارئ إلى آخـر، في قـراءة النص نفسه، إذ لكلّ قارئ استراتيجيته الخاصّـة في الـقـراءة، أي في تفسير الكلام، وتأويل المعنى، وفي استثمار الأفكار وتطبيقها).[11]

وتأسيسا على ما تقدم، يكن القول إنه يبدو طبيعيا أن تختلف القـراءات النقدية، مـن قـارئ إلـى آخـر، وبخاصة في الأعمـال الـروائـية، باعتبارها خطابات فكرية، ذات رؤى متباينة، وذات أبعاد سيميائية، تحمل في بنيتها إمكانات التباين والتغاير، والإشارات المرجعية المتعددة، إذ يستحيل أن تُفسّر هذه الأبعـاد السيميائية المتداخلة وفقـا لمنحى واحـد، أو إشـارة مرجعية واحـدة، فالرواية بنية فنيّة، ومركبة، وبعيدة الامتداد والتشعب إلـى حقـول مرجعية اجتماعية وتاريخية، وثقافية أخـرى، تغذيها وتسـهم في تشكيلها، وفي الرواية (وفي هذا المزيج الخاصّ والمتميز لا تجد التناقضات الاجتماعية والصراعات التاريخية والـنـزعـات الإنسانية المتضاربة بنسيجها المتلاحم ومجالها الخصب الملائم وحسب بل تجد معها ومن خلالها المساهمات المتفرقة للشعوب والأمم والمجتمعات المتفاوتة (في) إطـار ومـيـدان مجابهتها وتفاعلاتها الخلاقة والمثرية، خاصة بقدر ما يشتمل عليه هـذا المـزيـج بـالـذات مـن عناصر فنيّة تمتدّ في جذورها إلـى أغـوار الخرافة والأسطورة والدين، وتتفرع في استيحاءاتها إلـى الشعر والخطابة والمسرح).[12].

و من مظاهر الإيديولوجيا في الخطاب الروائي المعاصر إدانـة هذا الخطاب لمظاهر التمايزات الطبقية الحادة في بنية الطبقات الاجتماعية، والتركيز على القطاع العريض مـن الشرائح الاجتماعية التي لا تجد قوت يومهـا إلا بصعوبة بـالـغـة، ومحـاولـة فهم الخلفية الـفـكـريـة والمعـرفـيـة والاجتماعية لهذه الشرائح، وتعرضها لمظاهر الاضطهاد التاريخي والاجتماعي والطبقي الـذي عانت من جوره. ومن هنا لا يمكن النظر إلى العمل الروائي على أنّه بنية مفصولة عن التحولات التاريخية والسياسية والاجتماعية، إنّه بنية إبداعية مركّبة من مجموع التحولات الإنسانية الحاصلة في فضاء المجتمع الإنساني، وهو في بنيته العميقة ملفوظ إيديولوجي [13]، لأن العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا، وإن كانت في كثير من قسماتهاـ تعمل على حجب فنيات الخطاب الأدبي إبداعيا على مستوى الشكل، وعلى حساب إبـراز النزعة الإيديولوجية، فإنها في الرواية العربية علاقة واضحة، ولا يمكن تجاهلها، فبعض الكتاب (يريدون نصا " فنا، لوحة" لا ظلّ له، مقطوع الصلة بـ " الإيديولوجيا السائدة"، ولكن ذلك يعني أنّهم يريدون نصا لا خصوبة فيه ولا إنتاجية، نصا

عقيما(...) إنّ النص في حاجة إلى ظلّه، وهذا الظل هو قليل من الإيديولوجيا، قليل من الذات: أشباح، نثار، غيوم ضرورية، لابد للانحراف أن ينتج مفعول تعارضه الخاص، ضوء/ ظلمة)[14].

إنّ المتمعن في بنية العلاقات الاجتماعية و الطبقية وحتى الإنسانية في العالم العربي المعاصر سيرى أن هذه العلاقات، في معظمها، هي علاقات انتهازية آنية تقوم على مصالح آنية مؤقتة، وهي علاقات بدوية وقبلية، وتفتقد إلى البنيان المديني ببعده الثقافي والمعرفي، وهي السائدة في فضاء المدن العربية المعاصرة. فهذه المدن، وعلى الرغم من اتساعها ونموها الديموغرافي، وتشابك علاقاتها، وانفتاحها على معطيات الحضارات العديدة ، ليست مدنا مدينية تماما، إنّها مدن صحراوية وبدوية في علاقاتها وعلاقات مؤسساتها، وهي مدن محكومة بقيم البادية والتعصب والتزمّت، وقد أسلمت هذه المدن قيادها للوثة المال والتجارة والفساد والسماسرة ، والكذب والرياء والنفاق الاجتماعي والمذهبي، والمؤسساتي، وقد شكلت هذه العلاقات مصدرا مهما من مصادر السرد الروائي وبنياته، (فالواقع الاجتماعي العربي، رغم ما تحقق له وفيه من مظاهر تنويرية وتحديثيّة عديدة، لا يزال تحديثاً وتنويرا علويًا (برانياً) ولا يزال يرين عليه وتعشش في جنباته أشكال مختلفة من القمع والقهر والفقر والأعراف المختلفة والبطالة والفساد والتغريب وانعدام حرية الرأي والديمقراطية ، فضلاً عن تعاظم الاتجاهات القطرية، ممّا يفجر توترات إبداعيّة متنوّعة في الرواية العربية تزخر بالفضح والنقد والرفض والتمرّد على الأوضاع السلطوية والاجتماعية والاقتصادية والقطرية السائدة. وتتخذ هذه الروايات أنماطا مختلفة متنوعة من السرد الواقعي النقدي أو الغنائي أو الرمزي أو التهكمي أو الوثائقي) [15]. وقد كان الخطاب الروائي العربي المعاصر، في جلّ رؤاه ومضامينه جريئا قادرا على كشف بؤر الفساد بشتى أشكالها هذه البؤر التي تعشعش في واقع هذه المدن الاجتماعي والإنساني، وتنخره في جميع علاقاته.

> إنّ وعي الشخصيات الروائية، و مواقفها، ونظرتها للحياة، وأحلامها، يجسد وعي الطبقة التي تنتمي إليها

ولعلّ أنساق الإيديولوجيا، وفرزها المعرفي في الرواية العربية، هي بنية مهيمنة على كثير من الروايات العربية، وذلك نظرا لأوجاع الإنسان العربي المزمنة، و خيباته في الفرح والحب والحرية، والتحرر الاقتصادي والثقافي.و تتجلى مهمة هذه الأنساق في كشف بؤر الفساد السابقة، آنفة الذكر.

وتتجلى أيضا في إدانة الطبقات العليا في المجتمعات العربية، هذه الطبقات الثرية جدا ذات القدرات المتميزة على اختراق القوانين: قوانين الدولة، وقوانين الشرف والفقه والأخلاق. ولها قدرتها على تشكيل أزلامها،

والتابعين لها، وتدريبهم على أن يكونوا أذلاّء لها، ومنقادين، وفاقدين لجميع أشكال الأخلاق النظيفة وقيمها، وعلى أن يكونوا انتهازيين وصوليين ومتسلقين، وقادرين على تبديل جلودهم وفقا لمصالحهم الخاصة. مع العلم أنّ رجال هذه الطبقة ونساءها يعيشون منافقين، مزدوجي السلوك والرؤية والمواقف، فعلى المستوى الخارجي يبدون ورعين وتقاة وبررة، أمام معارفهم، وعلى المستوى الداخلي هم منحرفون أخلاقيا، وفاسدون، وكاذبون.

وعلى سبيل لمثال، لا الحصر، نجد أن الخطاب الروائي المعاصر في سورية، و في معظمه، يدين الطبقة البورجوازية المحلية الناهضة في سورية، ويشير إليها، و يرى أنّها طبقة استهلاكية لا تمت إلى الإنتاج بصلة، وهي غير وطنية، وهي ذيلية مرتبطة بالغرب الإمبريالي، غير أن ارتباطها به ليس ارتباطا معرفيا بتقنياته ونظرياته المعرفية، بل هو ارتباط استهلاكي سلعي لما ينتجه هذا الغرب، ولذا يكثر الحديث في مجالس هذه الطبقة، و كما تنقله الشخوص الروائية، وفي كثير من الروايات، عن السجاد والتجارة والويسكي، والفساتين والهدايا والمعاطف، وعطور النساء بأصنافها العالمية، و التي هي من منتجات هذا الغرب، هذه البورجوازية التي تكونت ونمت تحت ظلال الإمبريالية (ودون أن تستطيع أن تكون ضدها، وحتى دون أن تستطيع أن تكون ضد الإقطاع في مجتمعاتها أحياناً، تحولت إلى مجرد برجوازية وسيطة، اقتصادياً وثقافياً لا تريد، والأصح أنها لا تستطيع، تحديث مجتمعاتها إلا إلى الحد الذي تجعل هذه المجتمعات تستهلك فتات منتجات الإمبريالية، دون القدرة على الإنتاج) [16].

إنّ وعي الشخصيات الروائية، و مواقفها، ونظرتها للحياة، وأحلامها، يجسد وعي الطبقة التي تنتمي إليها، وبطبيعة الحال توجد استثناءات في بعض الأعمال الروائية، فبعض الشخصيات لا تبقى على مواقفها الفكرية، وعلى اعتناق رؤية إيديولوجية واحدة، من خلال مسارها ونموها، بل تنحو منحى جديدا، وتأخذ مواقف جديدة، نتيجة انتقالها من وضع طبقي ما إلى وضع جديد مفارق. وهذا الوعي المعرفي الذي يتبناه كتاب الروايات، سيبث بدوره خطابا إيديولوجيا يراه ويتبناه مجموعة الساردين في الرواية الذين يشكلون السرد الروائي، ومن ثمّ يجعلون شخصياتهم الروائية تنطق بحمولات هذا الخطاب الإيديولوجي، وتبث أفكاره ومواقفه ورؤاه المعرفية.

وإذا كانت الرواية تشكّل خطابا إيديولوجياً، في بعض حالاتها، فإنها تندرج فيما يمكن أن نسميه بالرواية الأطروحة.

ويبدو أنه من الصعب أن نجد في العالم العربي رواية تخرج عن مفهوم الرواية "الأطروحة"، لأن لغة الخطاب السياسي والديني هي المهيمنة على الحياة العربية برمتها، وبالتالي تكون "الأطروحة" للتخفيف من حدة هذا الخطاب، ثم إن السيطرة المفروضة على العالم الثالث وطبيعة الصراع القائم في هذا العالم على "جبهتين متداخلتين وغير منفصلتين هما الصراع ضد الغرب الإمبريالي –تحرر وطني –والصراع ضد الواقع –التراث المختلف لهذه المجتمعات"

[17]. لها دور كبير في أن تسهم في أن يكون الخطاب الروائي العربي المعاصر، خطاب (أطروحة) و(إيديولوجيا).

الرواية العربية المعاصرة وتيار المدرسة الواقعية

عرفت الرواية العربية في تشكيلها ومسارها الفني والجمالي والسردي تيارات معرفية عديدة، و نهلت من مدارس فكرية و نقدية مختلفة، غير أنّ أهم هذه التيارات السائدة الغالبة في تشكيل هذه الرواية هو تيار المدرسة الواقعية، أو الواقعية النقدية بتسميات أخرى.

و يبدو الحديث عن تيار الواقعية في العمل الروائي عملية جد شائكة ومعقّدة، إذ يقتضي تصوراً معيناً لمجموعة سمات تسم المدرسة الواقعية وتيارها الفني والجمالي، ثم الانطلاق من هذه السمات لمقاربة هذا العمل الروائي من خلالها. إلا أن هذا الانطلاق عملية تصنيفية لا تخلو من المخاطرة، لأنها قد تؤدي إلى تنظير للواقعية أحجم كثير من النقاد والدارسون عن الإقدام عليه. فهل الواقعية هي محاكاة الواقع بالمفهوم الأرسطي؟ وهل هي وصف للشرائح الاجتماعية في معاناتها اليومية؟ هل نأخذ الواقع كما هو بصوره المتداخلة المشوشة، اللامنظمة؟ أم نجري تصفية لهذا الواقع قبل التعامل معه؟. يرى توماشيفسكي (أن الكتابة الواقعية لها قواعدها. ومعاييرها وأصولها، فالواقع الذي تعتمد عليه الكتابة الواقعية ليس الواقع العشوائي الخام، وإنما هو الواقع المختار الذي تختلف معايير تقييمه عن معايير أرسطو) [18].

إذا اعتبرنا أن العمل الروائي هو موقف من الحياة والكون، أو رؤية لهذا العالم المصطخب، فإن هذه الرؤية لا تكتمل إلا بتعاملها مع الواقع، ولا يمكن لها أن تلغي هذا الواقع أو تتجاهله، والرواية القادرة على التشويق والإثارة هي القادرة على التعامل مع هذا الواقع بمعطياته المختلفة، وبطبيعة الحال تتباين درجات الإثارة هذه وفقاً لموضوع الرواية، بأحداثها وأسلوبها، وطريقة الكاتب في تعامله مع هذه الأحداث ومعالجتها. والتعامل مع الواقع هو تعامل – بالدرجة الأولى – مع الإنسان. والرواية القادرة على استنفار الشرط الإنساني الكامن في أعماق القراء تكتسب مشروعيتها وأهميتها كخطاب إبداعي وجمالي. يقول جاك ميتشيل: "إن الرواية كشكل من الانعكاس الجمالي للإنسان في المجتمع، بعلاقتها الحميمة، (المبنية على الملاحظة"، الشمولية و (وفقاً لشروط ميلادها على الأقل) الإيجابية بين الذات (الكاتب والقارئ) والموضوع (الإنسان الموجود في المجتمع القائم)، تتطلب... درجة عالية جداً من تحقيق "الشرعية الإنسانية" من قبل الذات الجمالية وأهمية ذلك القطاع من الواقع الإنساني "بالنسبة" إلى الإنسان المرئي كموضوع جمالي) [19].

إن الواقعية "تيار فني وضع لنفسه هدفاً نسخ الواقع بأكثر ما يمكن من الأمانة والطموح إلى أقصى ما يمكن من الاحتمالية. إننا نعتبر تلك الأعمال التي تظهر لنا محتملة، أو تعكس الواقع عن قرب واقعية" [20] على حد تعبير ر. جاكبسون، ولعل أحد وجوه هذه الأمانة هو التركيز على معاناة الشرائح الاجتماعية

المسحوقة وفقرها، وهمومها اليومية في مطاردة الخبز، وحديثها اليومي، والتواصل الإنساني فيما بينها، فالبؤس والحرمان سمة رافقت الإنسان الريفي في رحلته الطويلة مع الإقطاع والفاقة.

تقنية التناص في الخطاب الروائي العربي المعاصر

في نهاية هذا المقال أحب أن أشير إلى أنّ أهم التقنيات السردية التي اعتمدها الخطاب الروائي العربي المعاصر في تشكيل نصوصه الروائية هي تقنية (التناص) الذي ينهل من لغة سردية موغلة في القراءات الإبداعية الكثيرة شعرا ونثرا، وتستمد كثيرا من مفرداتها من القراءات الفكرية المتعددة في الفلسفة والتاريخ والتراث والأمثال الشعبية، والأدب الأجنبي الحديث والمعاصر.

إنّ تقنية (التناص) تثري الخطاب الروائي المعاصر، وتزيده عمقا فكريا ومعرفيا، على مستوى المضمون، وبعدا لغويا دالا على مستوى البنيّة الشكليّة، و التناص يساعد الوصف لكي يغذي السرد باللغة الجديدة المغايرة، إنّه يشكّل بعدا تزينيا وجماليا لا غنى عنه في الخطابات الروائية المعاصرة والجديدة التي تتباين عن الشكل الروائي التقليدي والكلاسيكي الذي وسم معظم الروايات العربية في بدايات تشكّلاتها في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين الميلاديين.

ويعدّ التناصّ في الخطاب الروائي العربي المعاصر جزءا مهما من (سيرة طبيعية لدى كل كاتب كبير، عبر أدب كبير، فهو لا يستطيع الخروج من جلده بتأسيس لغة كاملة جدية، بل هو محكوم بالخضوع لأسلوبية اللغة التي يكتب بها، وللأدب الذي يكتب فيه)[21].

ويكون التناص في الرواية العربية على عدة أشكال، وأهمها :

تناص مباشر يكون على شكل اقتباس، إذ تؤخذ فقرات سرديّة كاملة من نصوص قديمة أو حديثة، وتوضع في متن السرد الروائي، وتناص غير مباشر يتضمن بعض العبارت والجمل التي تتناص بمعانيها وأفكارها أو بعض مفرداتها.

ومن الخلفيات المعرفيّة التي يتناص الخطاب الروائي العربي المعاصر معها، وينهل منها: القرآن الكريم الذي شكلت لغته مبنعا لغويا ثرا لكثير من النصوص الإبداعية المعاصرة سواء أكانت هذه النصوص شعرا أم نثرا. وتتموضع عبارات القرآن الكريم داخل البنية السردية، إذ تقتبس هذه البنية بعض المفردات من الآيات القرآنية الكريمة، لتشكل لغة مساندة للغة الخطاب الروائي.

إنّ إحالة الخطاب الروائي إلى المرجعيات المعرفيّة التي يستند إليها، و يتحاور معها، والتي تعتمدها الشخوص الروائية حتى تبثّ، من خلالها، رؤيتها المعرفية والإيديولوجية، تمكننا من فهم طبيعة هذه الشخوص، و دورها في تشكيل السرد الروائي، وبالتالي دورها في فهم واقعها الاجتماعي، ثمّ الدعوة إلى تغييره، أو إدانته، وفي بعض المواقف السكون إليه، و الاستسلام لمقولاته، وقيمه الاجتماعية والأخلاقية الناظمة له.

والله ولي التوفيق

الهوامش والمراجع

(1) برادة، د. محمد: مقدمة كتاب ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة د. محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة/ باريس، الطبعة الأولى 1987م، ص 9.

(2) باختين، ميخائيل: من كتاب Esthetique et theorie do roman، Gallmard، parias. ترجمة د. محمد برادة، مجلة فصول، الجزء الأول(الأدب والإيديولوجيا)، العدد الثالث، أبريل، مايو، يونيو، 1985م، فصل من (استطيقيا الرواية نظريتها)، ص 105.

(3) جبرا، إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا (دراسات نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، تموز، يوليو، 1979م، ص 83.

(4) يوري لوتمان، يوري: " مشكلة المكان الفني"، ترجمة وتقديم د. سيزا قاسم،ضمن كتاب: جماليات المكان، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1988، ص 60.

(5) عن: جبرا، إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا (دراسات نقدية)،، ص 80 81.

(6) عبد الله، د. محمد حسن: الريف في الرواية العربية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 143، ربيع الآخر 1410 هـ/ نوفمبر، تشرين الثاني 1989م، ص 8.

(7) المرجع السابق، ص 15.

(8) لاسكي، هارولد: الدولة في النظرية والتطبيق، ترجمة: كامل زهيري وأحمد غنيم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 1963م، ص 169.

(9) خوري، إلياس: تجربة البحث عن أفق مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمة، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، طبعة حزيران(يونيو) م1974، ص 10. وكذلك: أنطونيو غرامشي: قضايا المادية التاريخية، ترجمة : فؤاد طرابلسي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، فبراير(شباط)، فصل تكوين المثقف.

(10) حافظ، د. صبري: الحداثة في اللغة والأدب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الثاني، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو، أغسطس، سبتمبر، 1984من ص 160.

(11) حرب، د. علي : " قراءة ما لم يقرأ، نقد القراءة"، مجلة الفكر العربي المعاصرة، مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس، العدد 60 61، يناير، فبراير، 1989م، ص 42.

(12) سويدان، د. سامي:" مدخل إلى قراءة روايات نجيب محفوظ"، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان 66 67، تموز، آب 1989، ص 65.

(13) المصطلح من استخدام ميخائيل باختين في: مجلة فصول، الجزء الأول(الأدب والإيديولوجيا)، العدد الثالث، أبريل، مايو، يونيو، 1985م، فصل من (استطيقيا الرواية نظريتها)، ترجمة محمد برادة.

(14) بارت رولان: لذّة النص(Le Plisr Du Texte). ترجمة: فؤاد صفا والحسين سبحان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 1988م، ص 37.

(15) العالم، د. محمود أمين : " هل هناك خصوصية للرواية العربية؟" : مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد السادس عشر، العدد الثالث، شتاء 1997م، ص 13.

(16) الخطيب،محمد كامل: المغامرة المعقدة، منشورات وزارة الثقافة. دمشق 1976م، ص 7.

(17) نفسه، ص 7.

(18) عن/ شحيد، د. جمال:" في خصوصية النص الواقعي"، مجلة الفكر العربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 25، يناير، فبراير 1982، الجزء الأول، ص7.

(19) عن / المشاكل الجمالية في تطور الرواية الثورية. ترجمة توفيق الأسدي، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، العدد 216 شباط –فبراير م1980، ص 147.

(20) جاكبسون، ر : نظرية المنهج الشكلي "نصوص الشكلانيين الروس"، ترجمة إبراهيم الخطيب الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة العربية الأولى 1982م، ص 90.

(21) مرتاض، د. عبد الملك : ((خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ))، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد التاسع، العددان الثالث والرابع، فبراير 1991م،ص 208.

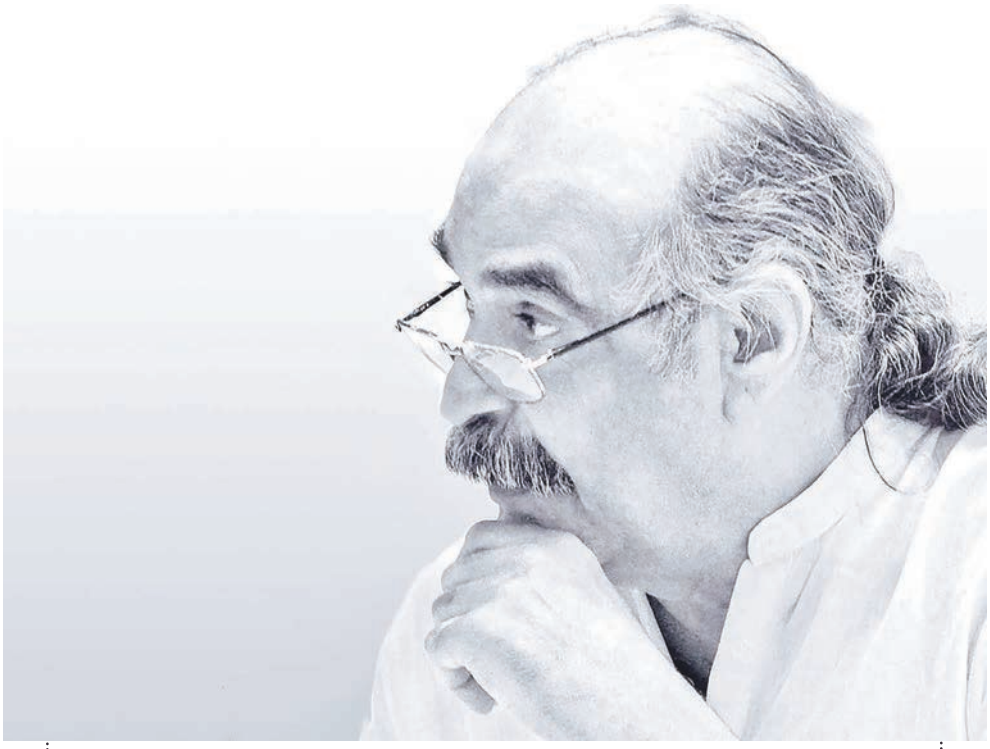

قاسم حداد

طاقة التأمل في الفعل الشعري

أشعر أن من بين أبرز مهمات أجيال الشعر الجديدة، هو اكتشاف طاقة التأمل في الصنيع الشعري، لتعميق الحسّ الفلسفي في الشعر العربي. ففي حضور خاصية الفلسفة بالنص الشعري، يُنجيه من الوقوع في السطحية، وفقر الدلالات فيه.

٢

فمما نتعرف عليه ونتعلّمه من تاريخ الشعر في الحضارة الانسانية، أن الشعر، في نماذجه المبدعة، كان غالباً بمثابة المواعين الفنية لتحقق الفلسفة في الحياة. وبما أن الفلسفة ليست موضوعاً محدداً منفصلاً ومكتفياً ومتجسداً بذاته، وأنها ليست سوى آليات إجرائية تحدث جراء سبل وأشكال وطرائق للنظر والتأمل والتفكير، فهي تظل دائماً بحاجة إلى مواعين وأدوات وأوانٍ تتحقق بها. وكان الشعر هو أحد الأشكال التعبيرية التي تتماثل فيها الفلسفة. وأظن أن أجمل الشعر وأكثره جوهريةً وبقاءً هو الذي استطاع الشاعر الموهوب إبداع نصوصه بأعمق الدلالات الفلسفية، فنرى الشعر يتحقق بوصفه "الفيض التلقائي للمشاعر الجياشة" بحسب تعبير "وردزورث".

٣

كره العرب الفلسفة في الشعر، امتداداً لموقفهم الإسلامي من الفلسفة. وتكريساً لمفهومهم الشعري، رفضوا أبا العلاء المعري الذي تفلسف، وقالوا إن الشاعر هو البحتري. لقد كانوا يرون المعري ملحداً، مع أن النظر النقدي المبكر كان من الشعراء العرب ثلاثة: المعري والمتنبي وأبو تمام.

٤

أقترح أن نتوقع من صنّاع الشعر العربي في المستقبل أن يحققوا الحوار المنتج بين الشعر وحركة الفلسفة فيه، فربما في مثل هذا السجال (لئلا أقول الصراع) يتجلى الفعل الإبداعي القائم على نشاط المخيلة في الصنيع الشعري.

٥

منذ تحول الشعر عن دوره الطبيعي معبراً عن حياة الإنسان وتجاربه الداخلية، إلى المنافح الأول، بعد الإسلام، عن الدين ومجابهة مناوئيه، ظل العرب يَنْظرون ويُنَظّرون للشعر بوصفه تجربة تعني بعمومية العالم، ليصبح مجرد ناطق باسم القبيلة ومهماتها. وبقي كذلك حتى بداية مرحلتي الحكم الأموي والعباسي، حيث بدأ التفلّت الآيديولوجي من ربقة الجاهزيات الدينية والسياسية العربية، عندها فقط بدأ شعراء ذلك العصر يتحررون ويحرّرون الشعر معهم. وبعدها أخذ الشعر يستعيد المبادرة، ليكون، عمقياً، نابعاً من ذات الشاعر باعتباره جوهرة المراصد.

أتذكر الآن، كيف أن بعض نقاد العرب في وقتهم قالوا بعد الإسلام إن الشعر (قد لانَ). لإحساسهم بأن الشعر بعد الإسلام قد أسلمَ واستسلم، (بحسب تعبير الشاعر أدونيس)، ففقد حرية مخيلته.

٦

وظني أن الشعر هو أكثر فنون التعبير اللغوية قدرة على القول الفلسفي، بسبب تميزه بنشاط المخيلة اللغوية في بنيته الفنية. ولأن الشعر، بحسب "بول فاليري" (لغة داخل اللغة)، يظل قولاً فلسفياً بواسطة قدرته الابتكارية للصور والتعبيرات والجمل الشعرية، فالفلسفة، في عمقها التعبيري، تقوم على الإشارة وتتحقق بالصور ذات الدلالات اللامتناهية. ونذكر أن أرسطو قال في وقته "إن الشعر أقدر تفلسفاً من التاريخ، وأهم؛ لكونه يتعامل مع الكليات".

في الثقافة العربية، مثلما وقف دهاقنة الدين ضد التفلسف والتأويل الديني لدى المتصوفة المسلمين، جاء المحافظون ليصدّوا نزوع التحديث في الشعرية العربية، باعتباره شكلاً من أشكال إدخال الفلسفة والتأمل في الأدب والكتابة العربية، والشعر باب الفلسفة المكين.

٧

في القرن العشرين، اجتاح الحياة العربية منافحة كثيفة ضد التحديث في الشعر، وبما أن الرمز أحد ملامح حركة الحداثة الشعرية، فقد أشهرت تلك المنافحة تهمة الغموض لوصف الشعر الحديث بأقذع الأوصاف التي تجاوزت الأدب، ولم تتوقف عند السياسة، بل وصلت إلى الدين، بتكفير أصحاب الشعر الحديث. وظني أن ذلك كان امتداداً للموقف من الفلسفة، التي باتت تتبناه المؤسسات العربية التقليدية كافة. فأصبح الكلام في تحديث الشعر هو ضربٌ من التجديف، خشية دخول التأمل الفلسفي إلى الثقافة العربية من شرفة الشعر مجدداً. فعندما كان تحديث منتصف القرن العشرين، يتمثل في الخروج على أوزان بحور الخليل بن احمد، تصدّت لذلك الخروج قوى المحافظة الأدبية كافة. وكنت تذكرت وقتها التعبير الشهير لأفلاطون عندما قال (إن مجرد تغيير الموسيقى، يهزّ أركان المدينة).

٨

وبعد تجربة الشعر العربي، وخصوصاً الحديث، أشعر بأننا نكاد نفقد الطبيعة الكونية لشعرنا، ونُصاب بالإخفاق في مواجهة المعاني الجوهرية في كتابتنا برمتها، بوصف الشعر أنموذجها الأرقى.

الآن أتمنى على الأجيال الشعرية الجديدة إعادة الاعتبار إلى الشعر باعتباره شكلاً من أشكال التعبير الجمالي، بعمقه الفلسفي، والتخلص من النظرة السلبية إلى الفلسفة في الشعر بوصفه مثلبةً.

٩

وكما هو متوقع، حيث لا يفهم الفلسفة إلا أقل الناس، كذلك الشعر فهو من ثقافة نخبة القوم. ليبقى كلام عامة الناس أكثر انتشاراً وفهماً للعامة من المجتمع، ويبقى الشعر، مثل بقية الإبداع، لا يدركه إلا أصحاب المعرفة والذوق الأرقى.

إعــلان

Yusuf Bin Ahmed Kanoo

يوسُفْ بن أحمَد كَانو

الصناعة والطاقة | الملاحة | العقارات
الإبتكار | السفريات | اللوجستية | كابيتال

INDUSTRY & ENERGY | SHIPPING | REAL ESTATE
INNOVATION | TRAVEL | LOGISTICS | CAPTIAL

www.kanoo.com

الإمارات العربية المتحدة
United Arab Emirates

المملكة العربية السعودية
Kingdom of Saudi Arabia

مملكة البحرين
Kingdom of Bahrain

أ.د/ رضا عبد الواجد أمين
أستاذ الإعلام بجامعة الأزهر بمصر،
والأهلية بمملكة البحرين

المسجد النبوي الشريف
منارة دينية وعلمية (2-2)

نحو رؤية علمية لتطوير استثمار الإعلام الجديد في نشر الثقافة العلمية من المسجد النبوي الشريف إلى العالم

تناولنا في الجزء الأول من هذه الدراسة الجهود العلمية والأكاديمية للمسجد النبوي الشريف، ونسلط الضوء في الجزء الثاني من هذه الدراسة على دور الإعلام الجديد وتطبيقاته المتعددة في إلقاء الضوء على هذه الجهود، وكيفية استثمار منصات التواصل الاجتماعي لنشر المعرفة العلمية الرصينة من المسجد النبوي الشريف ومؤسساته الأكاديمية المختلفة إلى المسلمين في أنحاء العالم.

توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في الجهود الأكاديمية للمسجد النبوي الشريف:

يقصد بشبكات التواصل الاجتماعي مواقع الويب التي تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين مثل المحادثة الفورية والرسائل الخاصة والبريد الإلكتروني والتدوين وتكوين الأصدقاء ومشاركة الملفات وغيرها من الخدمات، ومن الواضح أن تلك الشبكات الاجتماعية قد أحدثت تغيّرا كبيرا في كيفية الاتصال والمشاركة بين الأشخاص والمجتمعات وتبادل المعلومات، وتلك الشبكات الاجتماعية تجمع الملايين من المستخدمين في الوقت الحالي وتنقسم حسب الأغراض، فهناك شبكات تجمع أصدقاء الدراسة وأخرى تجمع أصدقاء العمل، بالإضافة إلى شبكات التدوينات المصغرة. ومن أشهر الشبكات الاجتماعية الموجودة حالياً «الفيس بوك» و«تويتر» و«يوتيوب» و«جوجل بلس» و«لينكدإن» و«إنستجرام» وغيرها من مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي.

ومواقع التواصل الاجتماعي بالأساس هي ساحات افتراضية مفتوحة للنقاش الحر بين المدونين والمستخدمين، وكذلك لتبادل الصور والملفات ومقاطع الفيديو، وتوظف من المستخدمين لما يراه كل منهم محققا لأهدافه مشبعا لاحتياجاته الإعلامية ورغباته الاجتماعية، وهي تجمعات افتراضية إنسانية على شبكة الإنترنت، تأخذ كثيرا من سمات المجتمعات الإنسانية، ففيها الجيد وفيها الرديء، وفيها الصالح والطالح، تماما كما في واقع الحياة الإنسانية

وقد انتشرت شبكات التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة بشكل غير مسبوق، وتشير الدراسات إلى أن قطاعات واسعة من الشباب ومن الفئات العمرية كافة يستخدمون تلك المواقع لأغراض متعددة، ولا شك أنه بالإمكان استثمار هذه الآليات الإعلامية لإلقاء الضوء على المناشط العلمية والأكاديمية والدعوية التي تقوم بها الجهات المتعددة بالمسجد النبوي الشريف، وسوف تحاول الدراسة الحالية توصيف استخدام موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) في نشر الجهود الأكاديمية للمسجد النبوي المبارك.

وقد أنشئ موقع تويتر في عام 2006م، وتشير الدراسات إلى أن أكثر من 11 مليون مستخدم سعودي يستخدمون موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) ووفقا لموقع اليكسا العالمي المعني بتصنيف وترتيب المواقع الإلكترونية لعام 2018م، فإن موقع تويتر يأتي في المركز الحادي عشر عالميا من حيث عدد مستخدمي الموقع وزواره، بعد أن تصدرت كل من جوجل ويوتيوب وفيس بوك ترتيب هذه المواقع، ويقدر عدد مستخدمي تويتر ب 1.3 مليار مستخدم حول العالم في 2018م.

وينتشر استخدام موقع (تويتر) في دول الخليج العربي والعديد من الدول في العالم، لذلك كان من المناسب أن يكون منصة مهمة لنشر المناشط الأكاديمية التي تتم من خلال المسجد النبوي الشريف ومؤسساته الأكاديمية المتنوعة التي تمت الإشارة إليها في المبحث السابق، وباستعراض تويتر تبين وجود هذه الحسابات:

حساب كلية المسجد النبوي في تويتر:

هو حساب كلية المسجد النبوي في شبكة التواصل الاجتماعي (تويتر).. @info__fopm ويتابعه 11500 متابع، وبه ما يناهز ألفين وخمسمائة تغريدة تقريبا، ويقوم الحساب على نشر الأخبار المتعلقة بالكلية، مثل نشر جداول الامتحانات، والإرشادات المتعلقة بالطلاب، والإعلانات المتعلقة بالأنشطة المختلفة التي تقوم بها الكلية، وأخبار استقبالات عمادة الكلية بزوار الكلية، بالإضافة إلى احتوائه على أخبار وكالة المسجد النبوي الشريف، ونشر بعض التصريحات الصادرة عن الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

> ويقوم الحساب بنشر الأخبار المتعلقة بالمعهد كإعلان جداول الاختبارات

ويحتوي الموقع على عدد من الأنماط التفاعلية، مثل الإعجاب، وإعادة نشر التغريدات، أو كتابة الأسئلة والتعليقات على بعض التغريدات، وقد نظم الحساب استفتاء لمتابعيه عن تقييمهم لقسم الإعلام (الذي يدير الحساب) وتجاوبهم والرد على الأسئلة والاستفسارات التي ترد إلى حسابات الكلية في شبكات التواصل الاجتماعي (تويتر وفيسبوك)، وقد أشار المتابعون الذين شاركوا في الاستفتاء وعددهم 347 صوتا خلال ديسمبر 2018م إلى أن معظمهم يعطون قيما إيجابية لمستوى التفاعل من مديري هذه الحسابات مع المتابعين، حيث أشار 57% إلى أن هذا التجاوب ممتاز، بينما رأى 21% أنه جيد، في حين رأى 11% أنه مقبول، و11% ذهبوا إلى أن مستوى تجاوب قسم الإعلام مع المتابعين ضعيف، وبالرغم من أن هذه النتائج لا ترتفع درجة موثوقيتها؛ لأن العينة التي صوتت لم تسحب على أسس علمية، فإنها في النهاية تعطي مؤشرا مهما لمستوى التفاعل على هذه المنصة الإلكترونية، وتشير إلى أن الاتصال عبرها ثنائي الاتجاه إلى حد كبير.

وكذلك قدم حساب الكلية في تويتر عددا من رسوم الإنفوجرافيك التي توضح معايير القبول في الدراسة بالكلية، أو توضح الأقسام والتخصصات العلمية التي تقدمها الكلية لراغبي تلقي التعليم فيها.

ولم يخل الحساب من المشاركة في الفعاليات الوطنية، مثل الاحتفال باليوم الوطني أو ذكرى البيعة، والذي تم من خلاله إعلان تجديد البيعة والولاء لخادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية.

ويعتمد الحساب في مجمل تغريداته على النص المكتوب كوسيلة لتوصيل الرسائل الاتصالية، مع توظيف بقية عناصر الملتيميديا، مثل الصور التي يتم التقاطها من الفعاليات المختلفة، أو من خلال المحاضرات أو بعض المشاهد من لجان الامتحانات، أو حتى صور مجردة للمسجد النبوي الشريف،

وكذلك صور القيادة السياسية في المناسبات الوطنية المختلفة، ويتم توظيف الفيديو – وإن بشكل أقل – في بعض تغريدات الحساب.

حساب معهد المسجد النبوي الشريف في تويتر:

من حسابات المؤسسات الأكاديمية المرتبطة بالمسجد النبوي الشريف حساب معهد المسجد النبوي الشريف في تويتر @info__iopm، وهو مخصص لطلبة التعليم دون الجامعي بالمسجد النبوي الشريف، وقد بدأ الحساب في سبتمبر 2013م، ويتابعه 6778 متابعا، وبه 986 تغريدة حتى ربيع الآخر 1440 هـ الموافق ديسمبر 2018م.

ويقوم الحساب بنشر الأخبار المتعلقة بالمعهد كإعلان جداول الاختبارات، ونتائج الاختبارات، وإعلان جداول دروس التقوية والمراجعة قبل الاختبارات، والإشارة إلى روابط الموقع الإلكتروني للمعهد والذي يحتوي على بعض الإعلانات المهمة للطلبة الدارسين به. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحساب هو حساب موحد للطلبة والطالبات، بمعنى أنه يقوم بنشر بعض الإعلانات والمعلومات المختصة بالشطر النسائي في المعهد.

ويعتمد الحساب أيضا على التغريدات النصية بالمقام الأول، لكونها الأداة الأنسب والأسبق تاريخيا في إيصال المعلومات والمعارف، وقام موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) بالأساس على التواصل النصي قبل أن يحدّث نفسه ليسمح بإرفاق ونشر الوسائط المتعددة الأخرى كافة، ولكن الحساب الخاص بالمعهد يُكثر أيضا من نشر الصور وملفات الفيديو التي تتعلق بالدراسة في المعهد كنشر صور الإعلانات المختلفة كجداول الدروس والاختبارات، ونشر بعض صور الطلبة أثناء أدائهم الاختبارات في ساحة المسجد النبوي الشريف، كما يقوم حساب المعهد في بعض الأحيان بإعادة نشر (retweet) بعض الحسابات الأخرى ذات الصلة مثل حساب رئاسة شؤون الحرمين @ReasahAlharamain، وهو حساب نشط به ما يقارب من ربع مليون متابع، وما يزيد على 12 ألف تغريدة.

ويلاحظ على الحسابات السابقة، والخاصة بالمعهد والكلية، والكلية شطر الطالبات ما يأتي:

- إنها في الغالب تأخذ الطابع الإخباري، أي لنقل الأخبار المتعلقة بأنشطة المؤسسة الأكاديمية، أو الأخبار ذات الطابع القومي للمملكة، مثل التهنئة باليوم الوطني، أو تجديد البيعة.

- إنها تستهدف في الغالب منتسبي المؤسسات الأكاديمية من الطلبة والمهتمين فقط، ولا تستهدف الجمهور العام المتوفر في شبكات التواصل الاجتماعي.

- غياب المحتوى الأكاديمي، أي غياب الدور المعلوماتي الذي يمكن أن يقتطف بعض المعلومات من خلال اجتزاء المحاضرات أو بعضها، وتقديمها للجمهور الخاص (الدارسين والدارسات) والجمهور العام لتحقيق الاستفادة العلمية القصوى

من هذه المنصة الإلكترونية المهمة.

إن الدول والمؤسسات الغربية تستثمر أموالا هائلة في المحتوى الإلكتروني، من دون خشية الخسارة في عالم الواقع؛ لأن الوجود في المجال الافتراضي يعزز من مكانة تلك المؤسسات في عالم الواقع، ويؤدي في نهاية المطاف إلى ارتفاع أسهم تلك المؤسسة – معنويا واقتصاديا– وتحقيقها عديدًا من النجاحات. وبالطبع لا بُدَّ من عمل دراسات لاختيار المحتوى المناسب، واستثمار هذه المنابر لتوصيل رسالة الإسلام السمحة إلى كل راغب في تلقيها من المسلمين حول العالم، وليتعرف على هذه الرسالة السامية كل من يدفعه الفضول أو البحث عن حقيقة الدين الإسلامي الحنيف، وحبذا لو كان هناك فريق عمل إعلامي متخصص له خطة عمل واضحة لنشر بعض مخرجات المؤسسات الأكاديمية التابعة للمسجد النبوي الشريف، لتحقيق أهداف رسالة المسجد كمنارة لنشر قيم الإسلام السمحة، وتعريف العالم بحقائق هذا الدين من منبعه الأصيل، وباستخدام عدد من اللغات الحية إلى جانب اللغة العربية بطبيعة الحال.

تطبيقات الهواتف الذكية:

لا شك أن للإعلام الجديد بتطبيقاته المتعددة أثره البالغ الآن في ظل تنامي أعداد مستخدميه حول الإعلام، ومن هذه الآليات المهمة التي يسهل استخدامها عبر الهواتف الذكية التطبيقات التي توفرها المتاجر الكبرى مثل App store – Google play.

ووفقا لإحصائيات موقع

We are Social فإن التطور في مجال الإنترنت والشبكات الاجتماعية والهواتف الذكية كما يأتي:

- بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في عام 2018 حوالي 4.021 مليارات، بزيادة تبلغ 7% سنويا.

- عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في عام 2018 أصبح 3.196 مليارات، أي بزيادة 13% سنويا.

- بلغ عدد مستخدمي الهواتف المحمولة في عام 2018 حوالي 5.135 مليارات، بزيادة 4% سنويا.

- إن متوسط استخدام الإنترنت للمستخدم الآن حوالي 6 ساعات في كل يوم، أي ما يقرب ثلث فترة استيقاظهم، ويحدث هذا من خلال استخدام الأجهزة الهاتفية واللوحية والخدمات التي تعمل عبر الإنترنت.

- أكثر من ثلثي سكان العالم لديهم الآن هاتف جوّال، ويستخدم معظم الناس الآن هاتفًا ذكيًا.

- ارتفع عدد مستخدمي الهواتف المحمولة في جميع أنحاء العالم بنسبة تزيد على 4% سنويا، على الرغم من أن معدلات الانتشار لا تزال أقل من 50% في معظم أنحاء وسط أفريقيا.

وفي ضوء الأرقام والإحصائيات السابقة يمكن اعتبار تطبيقات الهواتف الذكية إحدى أهم وسائل إتاحة المحتوى الرقمي للجماهير، ومن هنا سارعت عديد من المؤسسات الأكاديمية مثل الجامعات والمؤسسات البحثية إلى أن تحجز لها موضع قدم في هذا العالم، وتصمم لها تطبيقا في المتاجر المختلفة، وتختلف التطبيقات من حيث مدى سهولة استخدامها، أو سهولة الولوج إلى المعلومات، وسلاسة تصميمها، وفاعليتها، ومستوى تفاعلها من تطبيق إلى آخر، بحسب الإمكانات التقنية والفنية المتوافرة للمؤسسات أو الكيانات التي تقف وراء التطبيق، وبحسب مدى إيمان المؤسسة بضرورة الاستثمار في هذا المجال لتحقيق مكاسب تتعلق بإتاحة المحتوى ونشره، ويتجاوز ذلك إلى تحقيق عوائد مادية من خلال مقابل تحميل التطبيق أو الإعلانات التي يمكن أن تتوافر من خلاله.

وبالبحث في متاجر التطبيقات الخاصة بالهواتف الذكية لم يعثر الباحث على تطبيقات متخصصة بالمؤسسات الأكاديمية التابعة للمسجد النبوي الشريف، بيد أن الرئاسة العامة للحرمين الشريفين لها توافر بهذه المتاجر من خلال التطبيقات الآتية:

تطبيق بوابة الحرمين:

وهو تطبيق متاح للتحميل المجاني من متجر أبل App store ومتجر جوجل Google play ويسهل النفوذ إلى بعض المعلومات والخدمات المقدمة من الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، ويحتوي على القائمة الآتية:

- وسائط: وتقدم عددا من الملفات مثل بعض الدروس وإمكانية البحث فيها، والخطب النصية والصوتية والمرئية، كما تحتوي على تلاوات قرآنية مباركة بأصوات أئمة الحرمين

الشريفين، بالإضافة إلى قسم خاص عن رمضان، مثل دروس الصيام وأدعيته وإمساكية الشهر الكريم، وقسم خاصّ عن الحج، مثل صفته ودروسه وخطبه والإرشادات التي يمكن أن يستفيد منها حجيج بيت الله الحرام.

- البث المباشر، وتتضمن بثا مباشرا من بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف، وإن كانت هذه الخدمة غير مفعّلة.

- أوقات الصلاة، وتقدم مواقيت الصلاة وفقا لموقع الهاتف النقال، أي أنها تقدم مواقيت الصلاة لأيّ مكان في العالم.

- الصور: وتعرض معرضا للصور المتعلقة بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وهذه الخدمة أيضا غير مفعّلة.

- دليل الحرمين: وهو قسم يستعرض بعض الأرقام المهمة المتعلّقة بالحرمين الشريفين، وهي خدمة أيضا غير مفعّلة.

- راسلنا: وتتيح للمتصفح إرسال رسالة بريدية للقائمين على التطبيق

ويلاحظ على التطبيق بشكل عام، أن كثيرا من القوائم والنوافذ به غير مفعلة، ويحتاج إلى جهود تقنية لتطويره، ويمكن أن يكون نافذة مهمة لنشر العلم والقيم الإسلامية باللغات المتعددة حول العالم.

> يعد التطبيق من التطبيقات المهمة التي تبرز دور المسجد كمؤسسة علمية تحرص على إتاحة المعرفة العلمية

وتقترح الدراسة أن يتوفر تطبيق خاص للمؤسسات الأكاديمية بالمسجد النبوي الشريف تتضمن نوافذ لكل من معهد المسجد النبوي، وكلية المسجد النبوي للرجال وللنساء، وأن يقوم على هذا التطبيق فريق إعلامي يوظف إمكانات التفاعل في هذه التطبيقات لاجتذاب ملايين المستخدمين حول العالم، وتقديم الثقافة الإسلامية الرصينة لهم، بلغة سهلة قوامها قيم هذا الدين الحنيف، وإبراز معالم سماحته وعالميته، وإبراز القيم الإنسانية التي نادت بها الشريعة الغراء.

تطبيق الحرمين الشريفين:

وهو تطبيق من منصة تطبيقات الحرمين الشريفين، ويهدف –كما جاء في التعريف بالتطبيق– إلى تحقيق رؤية واستراتيجية الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف بناء على رؤية المملكة 2030م في تسخير التقنية الحديثة لخدمة الحرمين الشريفين والقاصدين من الحجاج والمعتمرين والزوار، ويشتمل التطبيق على:

- معلومات عن المسجد الحرام والمسجد النبوي

- مواقيت الصلاة

- البث المباشر للصلوات في المسجد الحرام والمسجد النبوي

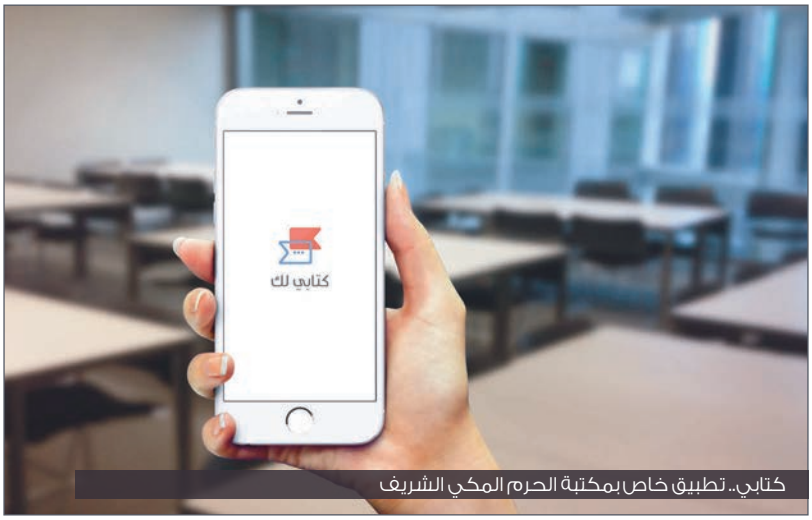

كتابي.. تطبيق خاص بمكتبة الحرم المكي الشريف

- خدمة الإرشاد المكاني لتيسير الوصول إلى مقصد الحاج أو المعتمر أو الزائر في الحرمين الشريفين باستخدام تقنية الواقع المعزز الذي يسمح باستخدام كاميرا الهاتف للتعرف على المكان الذي يوجد فيه الحاج أو المعتمر أو الزائر.

- أخبار الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

- الخدمات الإلكترونية للزوار.

- الخدمات الإلكترونية للموظفين.

وبشكل عام فإن التطبيق يحتوي على المعلومات المهمة، والمحدثة، حول المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، لكنه لا يتجاوز ذلك إلى تقديم المعرفة العلمية المتعمقة لمستخدمي التطبيق حول العالم، وهو ما يؤكد ضرورة الحاجة إلى تطبيقات هاتفية لتعكس الجهود الأكاديمية للمسجد النبوي الشريف، وتستفيد منها لنشر الثقافة الإسلامية الرصينة لكل باحث عنها حول العالم.

تطبيق كتابي:

وهو تطبيق خاص بمكتبة الحرم المكي الشريف، ويوفر قناة تواصل مع الباحثين والأكاديميين على مستوى العالم مع الكتب والمصادر العلمية المتوفرة في مكتبة الحرم المكي الشريف، وتوفر المكتبة الكتب في المجالات المتعددة وتعرض كتبا تبلغ أكثر من 30 ألف مؤلف صادرة عمّا يقرب من 12 ألف دار نشر، في مجالات الشريعة الإسلامية والعلوم الاجتماعية والأدب والمعارف العامة، والجغرافيا والتاريخ، والفنون الجميلة، والعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، والعلوم الطبيعية والرياضيات، واللغات.

ويعد التطبيق من التطبيقات المهمة التي تبرز دور المسجد الحرام كمؤسسة علمية تحرص على إتاحة المعرفة العلمية المتعمقة

لكل الراغبين في التزود بها حول العالم، وأحد المشاريع المهمة من مشاريع إتاحة المحتوى العربي الرقمي الذي يمكن تطويره، وعمل تطبيق نظير له في مكتبة المسجد النبوي الشريف كذلك.

تطوير التغطية الإعلامية للجهود الأكاديمية في المسجد النبوي الشريف:

تمثل التغطية الإعلامية جمع المعلومات والبيانات التفصيلية عن حدث معين أو موضوع ما، والإحاطة بكل جوانبه، لتحقيق أهداف محددة للجمهور المستهدف، ويعد الإعلام أداة من أدوات نشر المعرفة والثقافة بما ينشره من معلومات تصل إلى قطاعات واسعة من الجماهير.

والجهود العلمية والأكاديمية التي تقدمها الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف لا شك أنها تستهدف نشر المعرفة العلمية، سواء المتعلقة بالجوانب الدينية المتخصصة كعلوم الفقه والحديث والتفسير والتجويد، أو المتعلقة بالعلوم الأخرى كعلوم اللغة والعلوم الاجتماعية الأخرى.

وإذا كانت المؤسسات الأكاديمية تهدف إلى نشر المعرفة بشكل منتظم، ومنح الشهادات العلمية لمن تحصل على نواتج تعلم محددة سلفا في إطار من الجودة الأكاديمية، فإن وسائل الإعلام يمكنها أن تقوم بدور ما في انتظام نشر المعرفة، من خلال تحولها إلى مورد لهذه المعرفة، أو من خلال قيامها بدور الوسيط الذي يحمل المضامين العلمية في المؤسسات الأكاديمية وإتاحته لجمهور أكثر اتساعا وانتشارا بين المناطق الجغرافية المتباعدة، وبصفة خاصة وسائل الإعلام التي تحظى بنسبة مشاهدة أو قراءة أو استماع أو استخدام عالية، مثل وسائل الإعلام الجديدة، كالمواقع الإلكترونية في شبكة الإنترنت، وتطبيقات الهواتف الذكية، وشبكات التواصل الاجتماعي التي يصل عدد مستخدمي بعضها إلى ما يتجاوز مليار مستخدم.

وقد أحدثت وسائل الإعلام الجديد ثورة في عالم التواصل الإنساني، وقلبت العديد من المفاهيم التي استقرت في مجال الإعلام والاتصال سنوات عديدة، وأصبح للجمهور دور متنام في عملية الانتقاء والتفاعل وإنتاج المحتوى الإعلامي، واستحوذت تلك الوسائل على قدر كبير من أوقات الجماهير، وذلك نظرا إلى التطور المتوازي في الحواسيب اللوحية والهواتف الذكية التي سهلت كثيرا مسألة التعرض للمضامين الإعلامية في الإعلام الجديد.

وقد تبين أن المؤسسات الأكاديمية بالمسجد النبوي الشريف لم يفتها أن تلج هذا المضمار، ودشنت عددا من الحسابات لها في موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) بهدف تسهيل التواصل مع الدارسين من الرجال والنساء، ونشر بعض الأخبار المهمة، والرد – في بعض الأحيان – على تساؤلات المتابعين.

وتوصلت الدراسة أيضا إلى أن الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وظفت التكنولوجيا الحديثة من أجل التواصل مع الجماهير من الحجاج والمعتمرين والزوار، وذلك عبر إنشاء بعض التطبيقات

الخاصة بالهواتف الذكية لتقديم بعض الخدمات، ونشر الأخبار والفعاليات، وهي خطوات محمودة مقدرة، وجهود نسأل الله أن يُثيب القائمين عليها أجرا عظيما.

وبما أن مجال الإعلام الجديد مجال واسع، تتعدد فيه الإمكانيات، ويمكن من خلاله تعظيم الإيجابيات، والحد من السلبيات، فإن هذه الورقة العلمية تحاول تقديم بعض الأفكار لتطوير التغطية الإعلامية للمناشط العلمية والأكاديمية والدعوية للمسجد النبوي الشريف على وجه الخصوص.

وستقسم هذه الأفكار إلى شقين:

أولا: على مستوى تطبيقات الهواتف الذكية.

ثانيا: على مستوى شبكات التواصل الاجتماعي.

وسنتناولها -ضمنا- من خلال محورين:

المحور الأول: تطوير آليات وتطبيقات الإعلام الجديد الخاص بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف بشكل عام.

المحور الثاني: تطوير آليات توظيف الإعلام الجديد لخدمة الجهود العلمية والأكاديمية في المؤسسات التابعة لوكالة المسجد النبوي الشريف.

1. تطوير تطبيقات الهواتف الذكية لنشر الجهود الأكاديمية بالمسجد النبوي الشريف

حيث رصدت الدراسة أن غالبية تطبيقات الهواتف الذكية التي قامت الرئاسة العامة بإنشائها تقدم عديدًا من الخدمات المعرفية والدعوية والإرشادية، وهو أمر جدير بالتقدير، لكن المؤسسات الأكاديمية تقوم بجهود حثيثة لنشر المعرفة العلمية بشكل منتظم، وتتعامل مع عدد كبير من المهتمين والدارسين، وتقترح الورقة العلمية إنشاء تطبيق مخصص للمؤسسات الأكاديمية التابعة للمسجد النبوي بشكل مجمع، أو بشكل منفرد (تطبيق واحد لكل مؤسسة أكاديمية، المعهد، المعهد شطر الطالبات، الكلية، الكلية شطر الطالبات)، ويمكن لهذا التطبيق أو التطبيقات أن تخاطب نوعين من الجمهور:

(أ) جمهور البيئة الدراسية، أي الطالب، والمدرس، والموظف الإداري، بما يسهل من عملية التواصل، ولا شك أن الطلبة هم الشريحة الأكثر استفادة من هذا التطبيق من خلال القيام بالعمليات الآتية:

- تقديم طلبات الالتحاق، وتقديم المستندات والوثائق بشكل إلكتروني، وتتبع حالة طلب التسجيل.
- تسجيل المقررات في الفصول القادمة، والتعرف على جداول المحاضرات والامتحانات.
- مطالعة الدروس والمحاضرات والكتب المقررة بعد تحويلها إلى الشكل الإلكتروني بالاستعانة بإحدى منصات التعلم الإلكتروني، مثل (مودل Moodle).
- تقديم بعض الواجبات والبحوث التي يمكن أن يطلبها المحاضر من الطلبة

الدارسين بشكل إلكتروني Soft copy.

(ب) الجمهور العام، أي ما عدا منتسبي هذه المؤسسات الأكاديمية، حيث يمكنهم من:

- القيام بجولة تعريفية افتراضية على تلك المؤسسات الأكاديمية التابعة للمسجد النبوي، من خلال الإحصائيات والبيانات المتاحة.

- التعرف على البرامج الوقفية التي يمكن للمؤسسات الأكاديمية بالتنسيق والتعاون مع الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي أن تصممها، وتتيحها للراغبين في دعم الطلبة غير القادرين، من خلال برامج مصممة لهذا الغرض.

- التعرف على المعرفة العلمية الشرعية، من خلال إتاحة بعض المحتوى العلمي نصّيًّا وسمعيًّا، ومرئيًّا (الفيديو)، وتقديمه لراغبي التعلم الذاتي، أو التثقيف الديني والفقهي وكل تخصصات العلوم التي تدرس في المؤسسات الأكاديمية، ويمكن أن تتقاطع هذه المهمة مع مهمة المستوى الثاني من تطوير الإعلام الجديد لنشر الجهود الأكاديمية للمسجد النبوي الشريف.

2. تعظيم الاستثمار من شبكات التواصل الاجتماعي لنشر الجهود الأكاديمية والعلمية للمسجد النبوي الشريف:

وهو المستوى الثاني من مستويات تطوير آليات الإعلام الجديد، واستثماره لخدمة الدعوة الإسلامية عموما، ولخدمة نشر الجهود الأكاديمية والمعرفية للمؤسسات العلمية بالمسجد النبوي الشريف على وجه الخصوص.

وفي هذا المستوى يمكن استحداث إدارة أو قسم أو وحدة لإدارة المحتوى العلمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ويمكن أن تقوم بالوظائف الآتية:

- تحديد شبكات التواصل الأكثر فعالية وتحقيقا لأهداف الكلية أو المعهد (مثل تويتر، فيس بوك، انستجرام، يوتيوب).

- إنشاء حساب خاص بكل مؤسسة في هذه الشبكات، وتطوير المتوافر منها، وتحديد الغايات المراد تحقيقها من خلال التوافر على هذه الشبكات، وتحويلها إلى أهداف كمية يمكن قياس نسب النجاح فيها، من خلال إعداد خطة استراتيجية لإدارة هذه الحسابات، تكون فصلية أو سنوية.

- تحديد نسبة التفاعل والتدوين في هذه الشبكات (على سبيل المثال 3 تدوينات على الأقل في اليوم الواحد) وأن يتنوع المحتوى ما بين المحتوى الخبري، والإرشادي، والعلمي.

- أن يتوفر في هذه الإدارة وحدة فرعية للإنتاج الإعلامي، تقوم باجتزاء بعض المحاضرات العلمية، أو تحويلها إلى مقاطع صغيرة ومفيدة، والقيام ببثها عبر قناة يوتيوب، والحسابات الأخرى الخاصة بالمؤسسات الأكاديمية للمسجد النبوي في شبكات التواصل الاجتماعي.

وصل ى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش والمراجع:

1– رضا عبد الواجد أمين، دور مواقع التواصل الاجتماعي في ترويج الشائعات وسبل محاصرتها، دراسة قدمت إلى المؤتمر الدولي عن الإعلام والإشاعة، المخاطر المجتمعية وسبل المواجهة، جامعة الملك خالد – قسم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية، أبها، 27–25 نوفمبر 2014م، ص7.

2– رضا عبد الواجد أمين، مواقع التواصل الاجتماعي وتوظيفها في التعريف بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، دراسة مقدمة إلى مؤتمر الحوار وأثره في الدفاع عن النبي (ص)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2013 م، ص3.

3– جريدة المواطن الإلكترونية، 11 مليون مستخدم سعودي لتويتر، ثلثهم من النساء، بتاريخ 2018–4–23م، متاح على الرابط الآتي: https://www.almowaten.net تاريخ التصفح 2018–10–25م.

4– موقع إليكسا، الرابط https://www.alexa.com/topsites، تاريخ التصفح 2018–10–24م.

5– https://digitalreport.wearesocial.com/ تاريخ التصفح 2018–12–5م.

أ.د أحمد العساف
رئيس قسم التمويل والاستثمار
كلية ادارة الأعمال/ جامعة تبوك
المملكة العربية السعودية

الأمم الأكثر ازدهارا على الكرة الأرضية.. الأكثر اتجاها نحو الجريمة!!

قراءة في الاعتبارات الاقتصادية للسلوك الإجرامي

كانت الجريمة واحدة من المشاكل الرئيسية للحضارة منذ البداية، وزاد حجمها بمرور الوقت إلى أن أصبحت في العصر الحالي متفشية بشكل كبير، ما يبعث على القلق في كل الأوساط؛ فلم تعد الجريمة قليلة كما في الماضي، بل ازدادت توسعا وانتشارا وتنوعا. كما أن هذا الارتفاع الرهيب في مستوى الجريمة جاء نتيجة عوامل، أهمها بطبيعة الحال العوامل الاجتماعية الاقتصادية.

فالسؤال المحوري الذي تبحثه هذه المقالة هو: ما هو وزن العامل الاقتصادي في الاتجاه نحو الجريمة؟ بصيغة أخرى، هل يعزى ارتكاب الجريمة (سواء كانت جرائم أشخاص أو أموال) إلى مجرد اعتبارات سيكولوجية أو بدنية أو وراثية فطرية كما عرضت المدرسة الوضعية في الجريمة من نظريات علوم الجريمة والاجتماع والنفس، أم أن السلوك الإجرامي قد يكون مدفوعاً (في جانبه الأكبر) باعتبارات اقتصادية بحتة قائمة على حسابات الكلفة والعائد من الجريمة؟ وهل الدول الأكثر تقدما هي الأكثر في تفشي ظاهرة السلوك الإجرامي؟

وعليه، تم جمع وإحصاء أربعة مظاهر للجريمة، هي: (معدل السرقة للسيارات، معدل السطو الليلي، معدل الاغتصاب، ومعدل السلب) لمعظم الدول المتقدمة للعام 2016-2017. كما تم اعتماد المؤشرات الاقتصادية التالية (معدل البطالة، الهيكل العمري للمجتمع، مستوى التعليم، الكثافة السكانية، سوء توزيع الدخل، والتفاعلات الاجتماعية) لهذه الدول لنفس الفترة الزمنية، بهدف دراسة مدى تأثير هذه المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على السلوك الإجرامي. واللافت للانتباه أن النتائج أظهرت أن الدول الاكثر تقدما وازدهارا هي التي تصدرت قائمة المعدلات الأعلى في السلوك الإجرامي (على الأقل للمتغيرات قيد البحث). وفي تفاصيل هذا المقال سيتمكن القارئ من الاطلاع على التفاصيل.

أولا: متغيرات السلوك الإجرامي:

كانت الجريمة واحدة من المشاكل الرئيسية للحضارة منذ البداية، وزاد حجمها بمرور الوقت إلى أن أصبحت في العصر الحالي متفشية بشكل كبير، ما يبعث على القلق في كل الأوساط، فلم تعد الجريمة قليلة كما في الماضي، بل ازدادت توسعا وانتشارا وتنوعا. كما أن هذا الارتفاع الرهيب في مستوى الجريمة جاء نتيجة عوامل، أهمها -بطبيعة الحال- العوامل الاجتماعية والاقتصادية.

وتعرف الجريمة بأنها فعل وامتناع يخالف قاعدة جنائية يحدد لها القانون جزاء جنائيا، والمشرعون للقوانين هم الذين يضعون قواعد السلوك آمرين بالامتناع عن فعل بعض الأشياء أو الإتيان ببعضها الآخر، والأحكام المشروعة من قبل المشرعين ترتبط عادة بأنظمة الدول المختلفة وسياستها.

والجريمة تعد كل سلوك يخالف المعايير الاجتماعية وفي حالة تكرارها بإصرار يتطلب تدخل أجهزة الضبط.

والجريمة في حقيقة أمرها لا تعدو أن تكون شكلا من أشكال سلوك الانحراف عن السلوك السوي. إلا أن القانون الجنائي وضع لها طابع الجريمة أو السلوك الانحرافي والسلوك غير المشروع، وذلك لمخالفتها نصًّا معينًا في القانون الجنائي السائد في المجتمع.

ونظرا إلى أهمية ظاهرة الانحراف عن السلوك السوي كمؤشر للجريمة فقد احتلت دراسة هذه الظاهرة جزءا لا يستهان به من التخصصات المختلفة، مثل علم النفس

وعلم الاجتماع والقانون، حيث زخرت هذه التخصصات بما يستعصي حصره من المؤلفات والبحوث التي تناولت هذه الظاهرة محاولة تفسيرها والكشف عن العوامل التي تقف وراء نشأتها.

فالجريمة ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات؛ فهي تحصل في كل المجتمعات، وليست محصورة في فئة أو وسط اجتماعي محدد، وهي أيضا ليست مرتبطة بوقت أو فترة معينة؛ فهي نشأت منذ بداية التاريخ البشري، إلا أنها تختلف كمًّا ونوعًا من مجتمع إلى أخر ومن زمن إلى زمن. حيث إن الجريمة ظاهرة اجتماعية تمسّ أفراد المجتمع، وأخطارها تقع عليهم، والمجتمع يتأثر بذلك كله من حيث مجالها أو أسلوبها أو الهدف منها، مثل جرائم القتل وتعاطي المخدرات وتجارة الجنس والاغتصاب والسرقة وغيرها.

فواقع مجتمعنا اليوم يؤكد ازدياد مختلف الجرائم، ومردها إلى متغيرات اجتماعية متعددة، ولعل أبرزها وأهمها ظاهرة الفقر الذي أصبح من سمات العصر الحديث، وهذا يؤدي إلى فرض تحديات على صانعي القرار ومنفذيه.

وعلى الرغم من التراكم الكبير في البحوث الميدانية التي أجريت في هذا المجال فإن الاهتمام بهذه المشكلة لا يزال متجددا، علما أن أغلبية البحوث تتناول الانحراف الاجتماعي من البعد القانوني فقط. ومن خلال هذا الطرح نجد العديد من الدراسات التي عالجت موضوع الفقر وموضوع الجريمة لم تهمل التحولات الاجتماعية التي تحدث على المستوى المحلي أو العالمي على اعتبار أن هذه العمليات تشكل المحددات الأساسية لكلا الظاهرتين في الدول المتقدمة والبلدان النامية، حيث شغلت الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والجماعات وعدم المساواة الاجتماعية اهتماما آخر من العلماء والمفكرين والمصلحين الاجتماعيين ونسبوا إليها كثيرا من الأمراض والعلل الاجتماعية، وفي مقدمتها ممارسة الجريمة، وقد اعتقد بعضهم أن الأمراض الاقتصادية والاجتماعية في بعض البلدان المتطورة كأمريكا مثلا هي المسؤولة إلى حد كبير عن الجريمة وعن تزايد معدلاتها، وقد أسهم عدد كبير من علماء الاقتصاد وآخرون، بما فيهم علماء الاجتماع، في دراسات متعددة لتوضيح أثر العوامل الاقتصادية وعدم المساواة الاجتماعية في تشكيل العوامل الأساسية للانحراف والجريمة.

وفي هذا الاتجاه أكد العالم روبرت ودسن أنه حيث تكون معدلات الجريمة مرتفعة تكون البنية الاقتصادية ضعيفة، ويتمثل هذا الضعف في إهمال المشاريع الاقتصادية والحيوية ونمو البطالة وتزايد معدلات الخراب وتدمير الأشياء والممتلكات بسبب الافتقار إلى الخدمات العامة والدعم المالي.

ويؤكد العلماء أهمية العوامل الاقتصادية في الدفع إلى ارتكاب الجريمة بقولهم: إن المدخل الأساسي للسيطرة على الجريمة ومحاولة منعها أو ضبطها له صلة قوية بما أصبح يعرف اليوم بالتحليل الاقتصادي للجريمة.

والإجــرام لا يـأتي بـين ليلـة وضحاها وإنمـا نتيجة تراكمات بعيدة المدى، أي إنها تنطلق من النواة الأولى مرحلة الطفولة حتى الشباب؛ فعادة ما يكون المجرم في طفولته طفلا منحرفا، أي سلوكه غير سوي. وواجب الأسـرة في مثل هـذه الحـالات هو التنبّه إلى الطفل، ولَحْظ سلوكه وتصرفاته؛ فإن كانت غير طبيعية، بمعنى عنيفة، وجب الاهتمام بالطفل ومحاولة علاجه من مشاكله النفسية؛ لأن إهمال هذا الطفل في أفعاله (العنف – السرقة –الكذب)سوف يتطور الأمـر عنده تدريجيا حتى يصبح عادة أو حرفة مستقبلية، فمن تعود مثلا على العنف والشجار والاعتداء على الآخرين والاستيلاء على حاجاتهم سوف يتحول تدريجيا إلى مجرم محترف.

وإذا ما قمنا بربط الجريمة بالاقتصاد نجد أن (Becker، 1968) أول من أشار إلـى نظرية اقتصاديات الجريمة كنوع من العمل – نشاط بديل للحصول على فوائد اقتصادية. إذا كان العمل والجريمة نشاطين بديلين، فهناك بعض العائد على العمل (أي الأجور) والعودة على الجريمة (أي النهب). فوفقًا للنموذج البسيط لاقتصاديات الجريمة، يختار الأفراد الجريمة إذا كان العائد المتوقع من الجريمة مطروحًا منها الكلفة النفسية الخصوصية لارتكاب جريمة أعلى من العائد المتوقع من العمل. وبالتالي، إذا لم يكن هناك عمل، يميل الناس إلـى البحث عن مصادر أخرى للدخل.

وحكومات الـولايـات والحكومات المحلية قامت بإنفاق أكثر من 400 مليار دولار أو حـوالي 1100 دولار لكل مـواطـن على منع الجـريمـة ومكافحتها (USDOJ، BJS، 2010). ويـقـدر أحـد المصـادر أن نفقات القطاع الخاص على الحماية تزيد بنسبة 73٪ عن الإنفاق العام (فريمان، 2000). بالنظر

إلى الجهود الهائلة المبذولة لإخماد الجريمة، فإنه من المدهش مدى تغير صناعة الجريمة في التاريخ المعاصر. وتوضح هذه الإحصاءات الإنفاق على منع الجريمة ومكافحتها؛ ومع ذلك، فهي لا تشمل تكلفة الجرائم التي لا يتم منعها. على سبيل المثال، في عام 2000، قدرت قيمة السيارات المسروقة في الولايات المتحدة بمبلغ 7.8 مليارات دولار (هذا بعد انخفاض طويل في معدل سرقة السيارات) (USDOJ، FBI، 2009). يعتبر بعض الخبراء أن هذا نقل للثروة وليس كلفة على المجتمع؛ ومع ذلك، فإنه يأتي علاوة على المجتمع كما يتضح من المبلغ المنفق على مكافحة الجريمة.

وفيما يأتي متغيرات السلوك الإجرامي قيد الدراسة:

معدل السرقة، للسيارات الخاصة (حالة لكل 100.000 نسمة)

ونعني بها كل السيارات باستثناء الدراجات البخارية النارية، والسيارات التجارية، والحافلات، والشاحنات، وسيارات الإنشاء والسيارات الزراعية..

International Burglary) and Theft of Motor Vehicle Statistics).

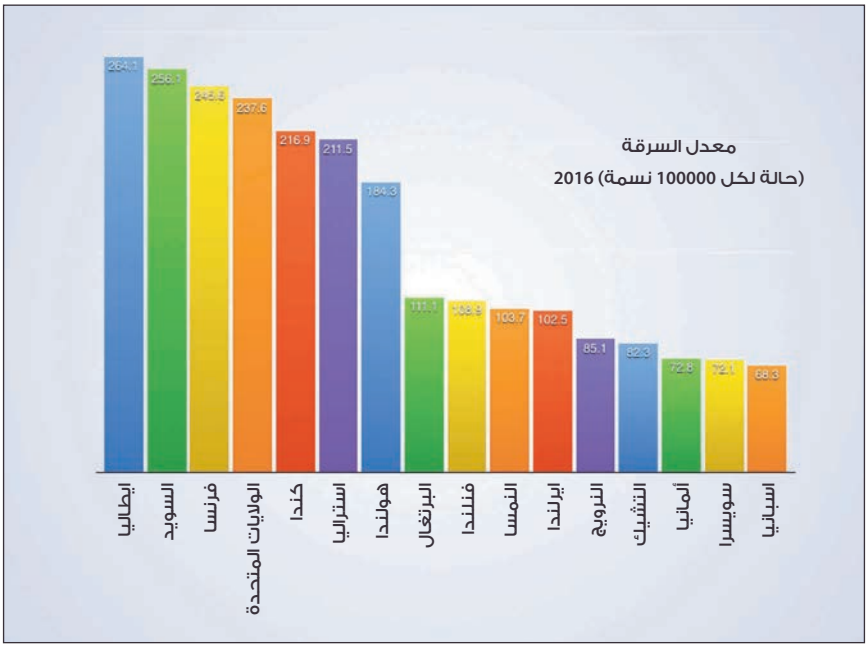

ويتضح من الشكل أن الدول المتقدمة تصدرت قائمة الدول الأعلى من حيث سرقة السيارات، فجاءت إيطاليا في المرتبة الثانية عالميا بعد جامايكا، والولايات المتحدة في المرتبة الخامسة. وقد خلت القائمة من أي دولة عربية في المراتب الـ25 الأولى.

معدل السطو الليلي (حالة لكل 100.000 نسمة)

"السطو" يعني الحصول على حق الوصول غير المُصرح به لجزء من مبنى/مسكن أو أي منشآت أخرى؛ باستخدام القوة؛ بهدف سرقة سلع (الاقتحام والدخول). يجب أن يتضمن "السطو": حيثما أمكن؛ السرقة من منزل؛ شقة أو مسكن آخر؛ مصنع؛ محل أو مكتب؛ منشأة عسكرية؛ أو باستخدام مفاتيح مزيفة..

International Burglary) and Theft of Motor Vehicle Statistics).

ويتضح من الشكل أن الدول المتقدمة تصدرت قائمة الدول الأعلى من حيث معدل السطو الليلي، فجاءت الدانمارك في المرتبة الثانية عالميا بعد التشيلي، والولايات المتحدة في المرتبة الخامسة عشر. وقد خلت القائمة أيضا من أي دولة عربية في المراتب الـ25 الأولى.

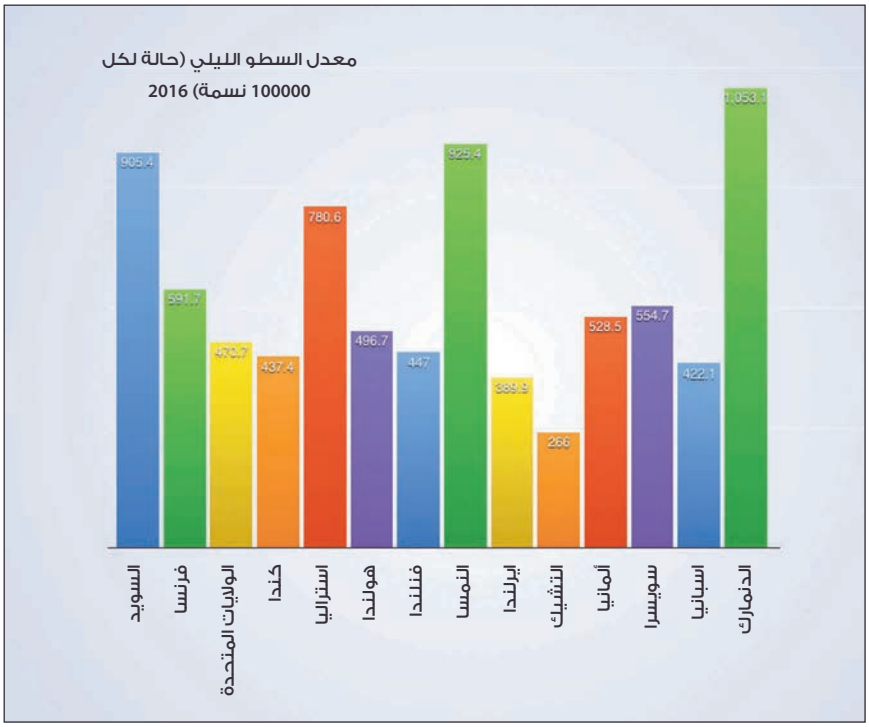

معدل الاغتصاب على المستوى الوطني (حالة لكل 100.000 نسمة)

الاغتصاب" يعني الاتصال الجنسي بدون موافقة صالحة..

.(Violent Crime Statistics)

ويتضح من الشكل أن الدول المتقدمة جاءت أيضا ضمن قائمة الدول الأعلى من حيث معدل الاغتصاب، فجاءت السويد وآيسلاندا والولايات المتحدة في المراتب الأولى عالميا. وقد خلت القائمة أيضا من أي دولة عربية في المراتب الـ25 الأولى.

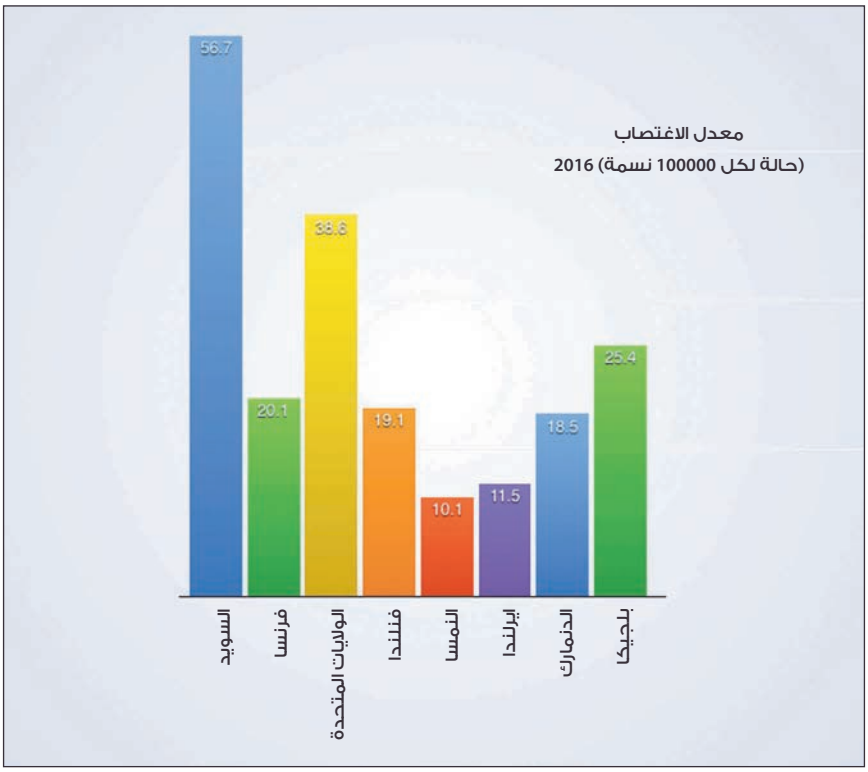

معدل السلب على المستوى الوطني (حالة لكل 100.000 نسمة)

السلب" تعني سرقة الممتلكات من شخص ما؛ التغلب على المقاومة بالقوة أو التهديد بالقوة. وحيثما أمكن يجب أن تتضمن الفئة "السلب" عمليات الإبلاغ عن السطو (اختطاف الحقائب) والسرقة بالعنف؛ ويستثنى من السرقة الابتزاز

.(Violent Crime Statistics)

ويتضح من الشكل أن الدول المتقدمة جاءت أيضا ضمن قائمة الدول الأعلى من حيث معدل السلب، فجاءت الولايات المتحدة في المرتبة الثانية عالميا بعد الارجنتين. وقد خلت القائمة أيضامن أي دولة عربية في المراتب الـ25 الأولى.

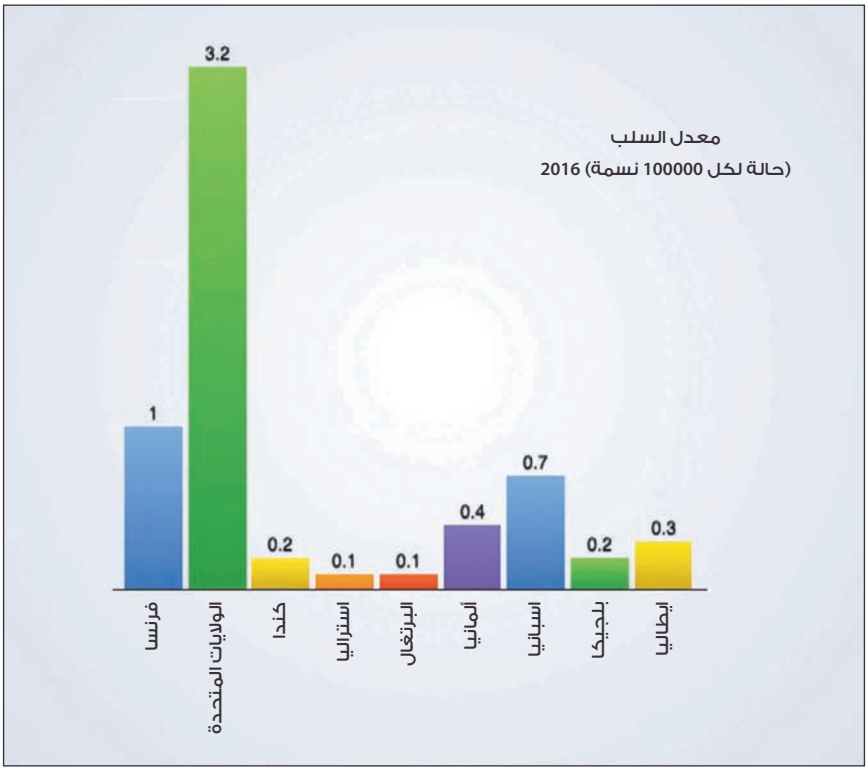

ثانيا: المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالسلوك الإجرامي

عدم المساواة في الدخل (معامل GINI)

لا يزال معامل جيني اليوم هو الأداة الأكثر استخدامًا لرسم الفجوة الاقتصادية بين مواطني الدولة الأكثر ثراءً والأكثر فقرا. جمع المنتدى الاقتصادي العالمي (WEF) بيانات من البنك الدولي ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وغيرها من المصادر، إلى جانب مؤشرات أخرى لإنشاء مؤشر التنمية الشاملة 2018، وهو لمحة عن الفجوة بين الأغنياء والفقراء.

وفقًا لمؤشر المنتدى الاقتصادي العالمي، ارتفع التفاوت في الدخل أو ظل راكداً في 20 من أصل 29 من الاقتصادات المتقدمة بينما زاد الفقر في 17 منها. وعلى الرغم من أن معظم الاقتصادات الناشئة قد تحسنت في هذه المجالات ٪84- منها سجلت انخفاضًا في الفقر- فإن مستوياتها المطلقة من عدم المساواة لا تزال أعلى من ذلك بكثير. بالإضافة إلى ذلك، يذكر التقرير، في الاقتصادات المتقدمة والناشئة على حد سواء، أن الثروة موزعة بشكل غير متكافئ أكثر من الدخل: "هذه المشكلة قد تحسنت قليلاً في السنوات الأخيرة، مع عدم المساواة في الثروة في 49 اقتصادًا".

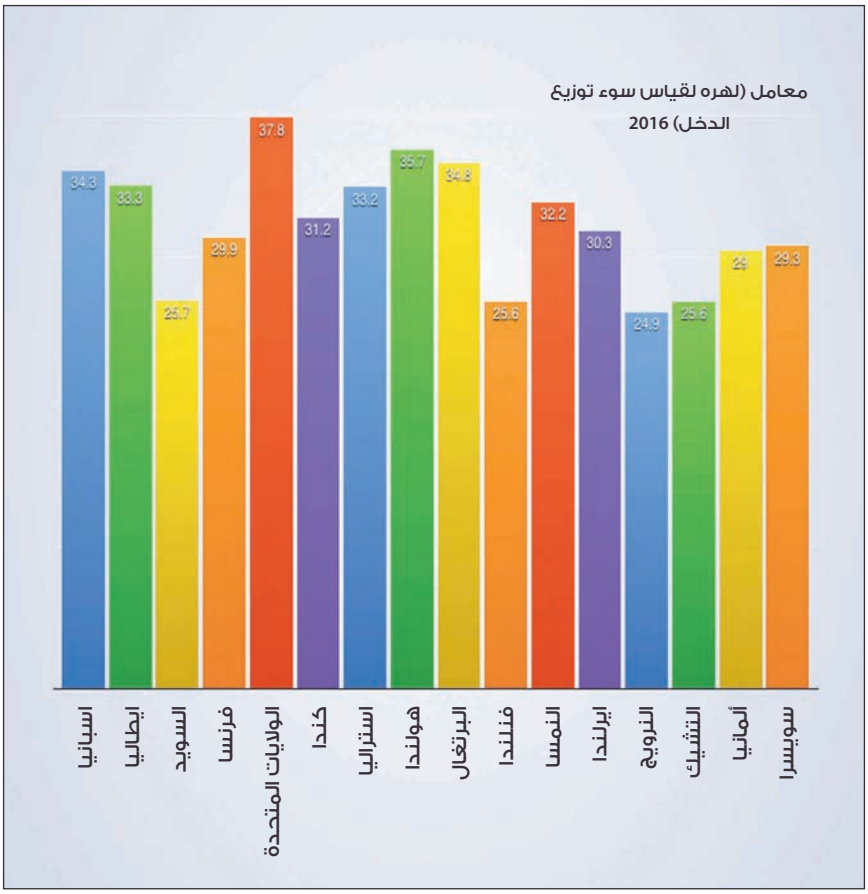

Source: The World Economic Forum's Inclusive Development Index 2018

ازداد عدم المساواة في الدخل بوتيرة أسرع في أمريكا الشمالية والصين والهند وروسيا أكثر من أي مكان آخر. ويشير تقرير التفاوت العالمي لعام 2018 الصادر عن مركز عدم المساواة العالمي (وهو مركز أبحاث مقره كلية باريس للاقتصاد)، أن الفارق بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة في هذا الصدد لافت للنظر بشكل خاص: "ففي حين كانت حصة الدخل الأولى البالغة 1٪ قريبة من 10٪ في كلا المنطقتين في عام 1980، فقد ارتفعت قليلاً فقط إلى 12٪ في عام 2016 في أوروبا الغربية في حين وصلت إلى 20٪ في الولايات المتحدة. وفي الوقت نفسه، في

الولايات المتحدة، انخفض نصيب الدخل الأدنى البالغ ٪50 من أكثر من ٪20 في عام 1980 إلى ٪13 في عام 2016.

وقامت دراسة حديثة بتحليل كيف تؤثر مستويات الدخل والتوزيع على الميل الجنائي ومعدل الجريمة. ووجدت بأن مردود الجريمة، ولا سيما جريمة الممتلكات، يعتمد في المقام الأول على "الفرص التي يوفرها الضحايا المحتملون للجريمة". ويفترض صاحب الدراسة أن "متوسط الفرص المشروعة المتاحة للمجرمين المحتملين" يمكن تقريبه بـ"متوسط مستوى الدخل لمن هم دون متوسط (دخل) الدولة" بالنسبة لدخل متوسط معين، ويمكن أن يكون عدم المساواة في الدخل مؤشراً على الفرق بين مردود الأنشطة القانونية وغير القانونية. في تحليله الاقتصادي القياسي لعوامل تحديد معدلات جرائم الدولة في الولايات المتحدة في عام 1960، ووجد الباحث أن ارتفاع دخل الأسرة المتوسط ارتبط بارتفاع معدلات القتل والاغتصاب والاعتداء وبمعدلات أعلى لجرائم الملكية، مثل السطو. بالإضافة إلى ذلك، ارتبط مقياس عدم المساواة في الدخل -النسبة المئوية للأسر التي تقل عن نصف الدخل المتوسط- بارتفاع معدلات الجريمة.

بالنظر إلى أن هذين العاملين -الجريمة وعدم المساواة- مرتبطان، ولكن يجب علينا أن نميز بدقة آثار عدم المساواة عن آثار الفقر، ويمكننا التمييز بين العديد من آثار عدم المساواة على الجريمة. ففي نظرية الاقتصاد للجريمة، فإن المناطق التي تتسم بعدم المساواة العالية تضع الأفراد الفقراء الذين لديهم عوائد منخفضة من نشاط السوق بجانب الأفراد ذوي الدخل المرتفع، وبالتالي زيادة العوائد على الوقت المخصص إلى النشاط الإجرامي، وعند مواجهة النجاح النسبي للآخرين من حولهم، يشعر الأفراد غير الناجحين بالإحباط من وضعهم. وكلما زاد عدم المساواة، زادت هذه الضغوط وحفز الأفراد ذوي المكانة المنخفضة على ارتكاب الجريمة".

البطالة

يشير مصطلح "البطالة" إلى حصة القوى العاملة التي هي بلا عمل ولكنها متاحة للعمل وتسعى للحصول عليها. وذلك وفقا لمنظمة العمل الدولية، قاعدة بيانات ILOSTAT.

يستخدم الاقتصاديون عادة معدل البطالة كمؤشر على مقدار فرص العمل المشروعة المتاحة للأفراد. لذلك، يشير معدل البطالة المرتفع إلى وجود عدد أقل من فرص العمل المتاحة وبالتالي فإن كلفة الفرصة البديلة لاختيار الجريمة على العمل المشروع منخفضة. ومع ذلك، ينظر علماء الاجتماع إلى معدل البطالة باعتباره مؤشرا على "توفير الضحايا المناسبين" وكذلك المنظور الاقتصادي التقليدي (بريت، 1994 وكانتر ولاند، 1985). وهم يشيرون إلى أنه مع زيادة معدل البطالة، يكون هناك انخفاض نسبي في الإمداد بالضحايا المناسبين؛ لأن ميول الناس إلى السرقة تصبح أقل.

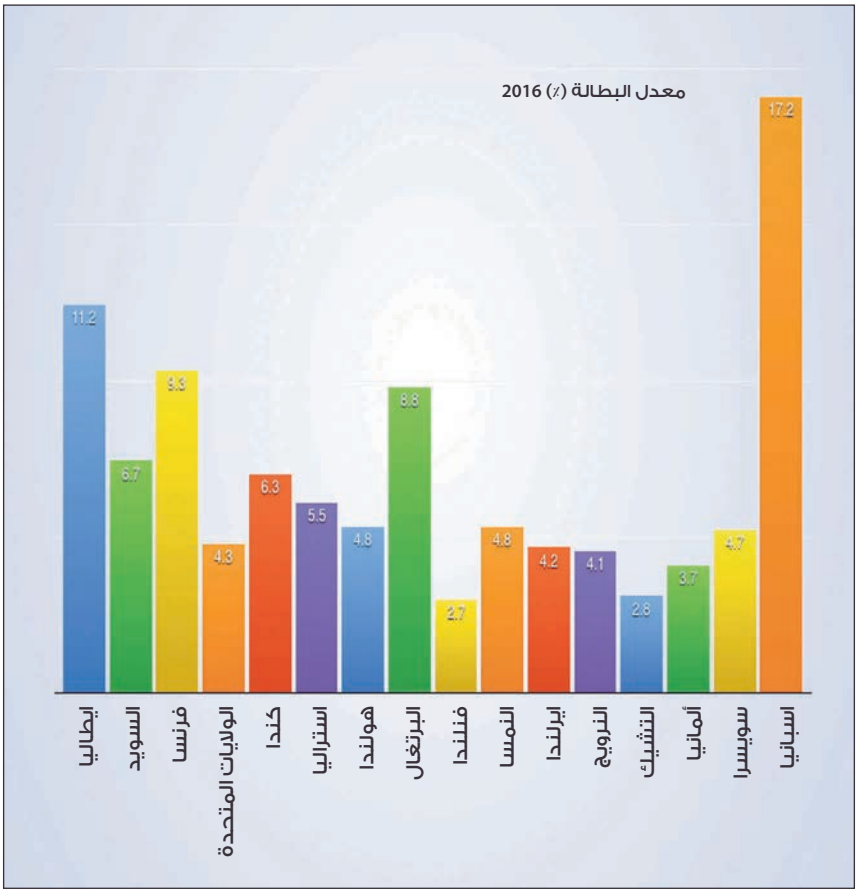

وجـود عـلاقـة بـين الجـريمـة والبـطـالـة غامض إلـى حد مـا، سواء في طبيعته أو في متانته. منذ الإسهامات الأولى في اقتصاديات الجريمة، فقد حـاول العلماء تحديد ما إذا كانت هناك علاقة بين الجريمة والبطالة. على وجـه الخـصـوص، ركـزت العـديـد من الأعمال اهتمامها فقط على البطالة، وأهملت المكونات الأخـرى ذات الصلة بسوق العمل كأجور وفرص عمل. علاوة على ذلك، يُعتقد أن معظم المجرمين عاطلون عن العمل، بينما، أظهـرت العديد مـن الـدراسـات أن غالبية الأشخاص الذين يقررون المشاركة في أنشطة إجرامية هم عاملون.

إجمالي الناتج المحلي لكل نسمة، تعادل القوى الشرائية (مبلغ دولي حاليًا بالدولار الأمريكي)تعادل القوى الشرائية الدولية بالدولار الأمريكي لكل نسمة)

النـاتج المحلي الإجـمـالي للفرد الـواحد على أساس تعادل القوة الشرائية (PPP) هـو إجـمـالي الـنـاتج المحـلـي المـحـول إلـى دولارات دولـيـة باستخدام مـعـدلات تعادل

القوة الشرائية. يتمتع الدولار الدولي بنفس القوة الشرائية على الناتج المحلي الإجمالي مثل الدولار الأمريكي في الولايات المتحدة. إجمالي الناتج المحلي بأسعار المشتري هو إجمالي القيمة المضافة من قبل جميع المنتجين المقيمين في الاقتصاد، بالإضافة إلى أي ضرائب على المنتج مطروحًا منها أي إعانات غير مدرجة في قيمة المنتجات. يتم حسابه من دون إجراء استقطاعات لإهلاك الأصول المصنعة أو لاستنفاد الموارد الطبيعية وتدهورها (World Development Indicators (WDI).

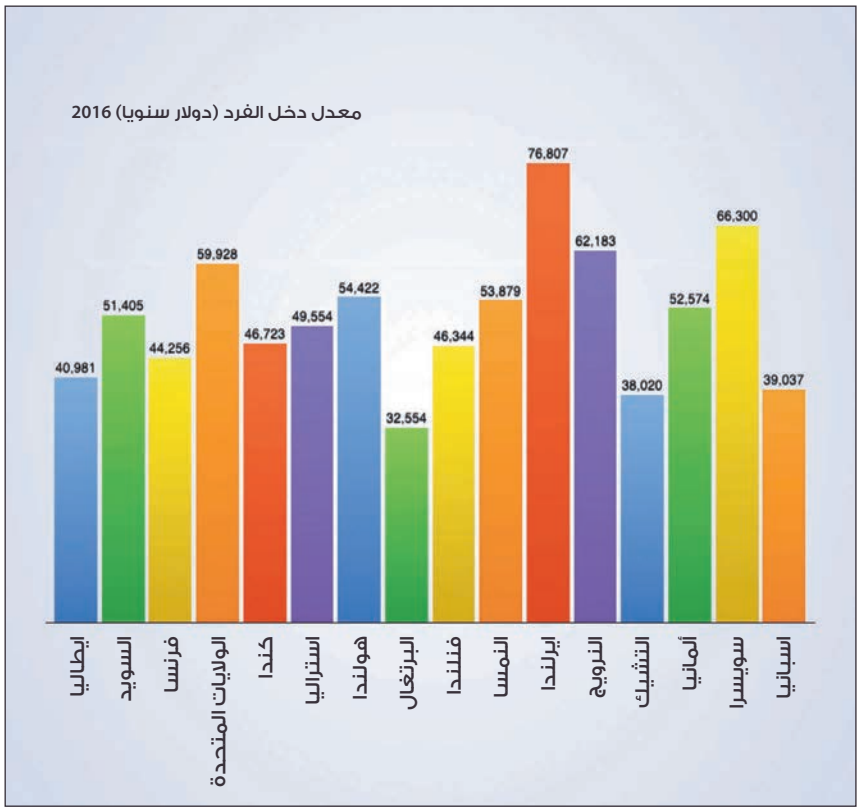

تمثل فرص الدخل القانوني عاملاً مهمًّا للجريمة. فينبغي أن يؤدي ارتفاع الدخل القانوني إلى تقليل النشاط الإجرامي؛ لأن الدخل القانوني يمثل جزءا من تكاليف الفرصة البديلة للإدانة. ارتفاع الدخل القانوني يمنع الجاني المحتمل من ارتكاب جريمة؛ لأنه يخشى فقدان الدخل القانوني. مع افتراض بقاء العوامل الأخرى (احتمال الكشف والإدانة وفرص الدخل غير القانونية). ومع ذلك، هناك قناة أخرى يؤثر فيها الدخل القانوني ومن خلالها على الجريمة إذا ما تم النظر إليها من زاوية أوسع. إذا زاد متوسط

الدخل القانوني في منطقة معينة (كمقاطعة ألمانية)، فمن المرجح أن يكون للجاني المحتمل دخل قانوني أعلى في المتوسط، ومن ثم فهو أقل عرضة لارتكاب جريمة. من ناحية أخرى، قد يزيد متوسط الدخل القانوني أيضًا من فرص دخله غير القانونية؛ لأنه يوجد الآن دخل أو ثروات أكثر يمكن أن يسرقها. على الأقل بالنسبة لجريمة الممتلكات، فإن زيادة الدخل القانوني في المتوسط قد يزيد أيضًا من النشاط الإجرامي: يمكن للجاني المحتمل أن يتوقع نهبًا أكبر؛ لأن الأشخاص المحيطين به أكثر ثراءً.. لذلك فإن تأثير الدخل المتاح غامض؛ لأنه يؤثر على قرار ارتكاب جريمة أو لا من خلال قنوات مختلفة.

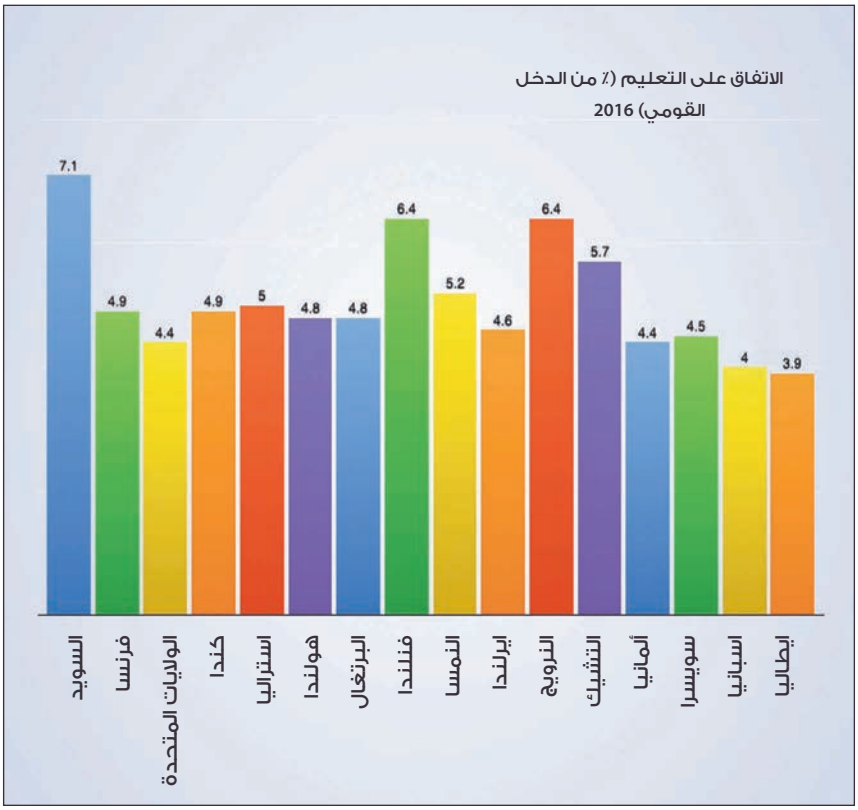

الإنفاق الحالي على التعليم كنسبة مئوية (%) من إجمالي الدخل القومي

الإنفاق الحالي على التعليم كنسبة مئوية (%) من إجمالي الدخل القومي هو إجمالي الإنفاق الحالي على التعليم العام، مُعبَّرًا عنه بنسبة مئوية من إجمالي الدخل القومي في سنة مالية معينة. ويُشار إلى إجمالي الدخل القومي أيضًا بإجمالي الإنتاج القومي GNP)(World Development) Indicators (WDI)).

هناك عامل مهم آخر يتعلق بتأثير الظروف الاقتصادية على الجريمة، وهو مستوى التعليم لدى السكان، والذي يمكن أن يحدد المكافآت المتوقعة من الأنشطة القانونية والإجرامية.

في الواقع، أشار العديد من العلماء أن التعليم قد يكون له أيضًا تأثير "حضاري"، حيث يميل إلى الحد من حدوث النشاط الإجرامي. ووجدوا علاقة إيجابية ومهمة بين متوسط عدد سنوات الدراسة التي أكملها السكان البالغين (أكثر من 25 عامًا)، وخاصة جرائم الممتلكات التي ارتُكبت. وقدم العلماء أربعة تفسيرات محتملة لهذا الاكتشاف التجريبي المحير. أولاً، من الممكن أن يؤدي التعليم إلى رفع الناتج الهامشي للعمالة في صناعة الجريمة إلى حد أكبر من الملاحقات الاقتصادية المشروعة. ثانياً، قد يرتبط متوسط مستويات التعليم المرتفعة بتقليل الإبلاغ عن الجرائم. ثالثًا، من الممكن أن تكون مؤشرات التعليم بمثابة "بديل عن متوسط الدخل الدائم في السكان، مما يعكس المكاسب المحتملة التي يمكن أن تتحقق من الجريمة، ولا سيما جرائم الملكية". أخيرًا، بالإضافة إلى ملاحظة أن عدم المساواة في الدخل يرفع من معدلات الجريمة، من الممكن أن نستنتج أن بعض معدلات الجريمة "ترتبط ارتباطًا مباشرًا بعدم المساواة في التعليم والتدريب أثناء العمل".

وأظهرت الدراسات الحديثة أن زيادة بنسبة (1%) في ارتفاع معدل إتمام الدراسة لجميع الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 20-60 من شأنه أن ينقذ الولايات المتحدة ما يصل إلى 3.2 مليارات دولار سنويا كانخفاض في التكاليف الناجمة عن الجريمة التي يتكبدها المجتمع.

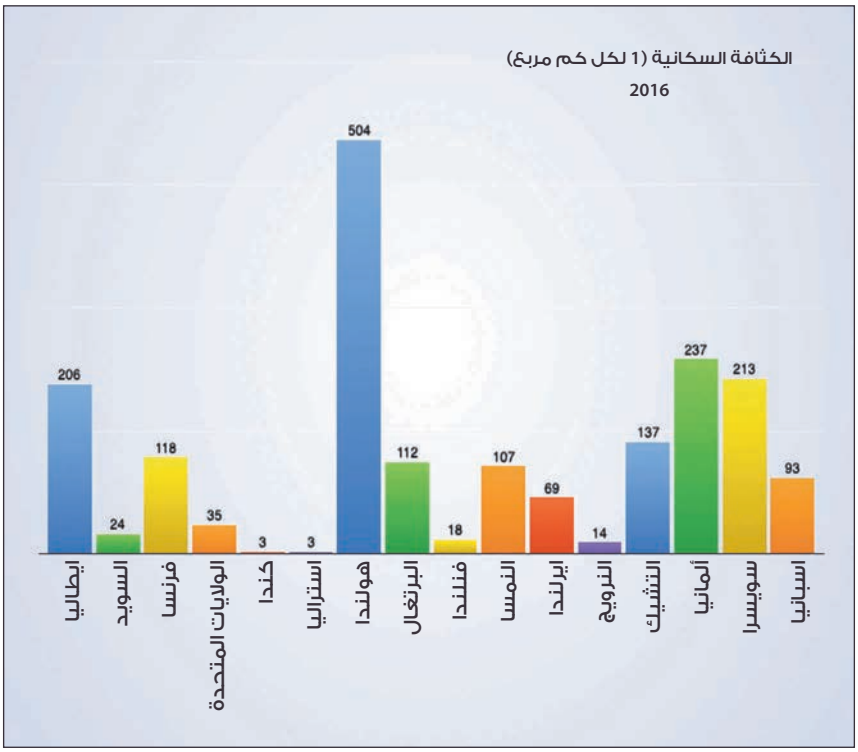

كثافة السكان
(نسمة لكل كيلومتر مربع)

الكثافة السكانية هي عدد السكان بمنتصف العام مقسوما على مساحة الأرض بالكيلومترات المربعة. يعتمد عدد السكان على التعريف الفعلي للساكنة، وهو يحتسب جميع المقيمين -بغض النظر عن الوضع القانوني أو الجنسية- باستثناء اللاجئين غير المقيمين بشكل دائم في بلد اللجوء، والذين يعتبرون عمومًا جزءًا من سكان بلدهم المنشأ. مساحة الأراضي هي المساحة الإجمالية للبلد، باستثناء المنطقة الواقعة تحت المسطحات المائية الداخلية، وادعاءات الدولة للجرف القاري، والمناطق الاقتصادية الحصرية. ويشمل تعريف المسطحات المائية الداخلية، في معظم الحالات، الأنهار والبحيرات الرئيسية.

أحد العوامل أيضا هو الهيكل العمري للمجتمع. عادة ما يكون ذروة منحنى العمر للجريمة في سنوات المراهقة ويتراجع بعد ذلك، ما يعني أن الأفراد أكثر عرضة للجريمة في سن مبكرة وأقل من ذلك عندما يكبرون في السن. ففي إحصاء عام 2009 أحصى في الولايات المتحدة وبريطانيا ما يقارب (1.9) مليون شخص في السجون، غالبيتهم العظمى من الرجال في العشرينات والثلاثينات من العمر. يمكن ملاحظة أنماط مماثلة لألمانيا.

يمكن ملاحظة الإفراط في تمثيل المشتبه

في ارتكابهم جرائم لفئة الرجال. ففي عام 2009، من بين 2.187 مليون شخص مشتبه في ارتكابهم جرائم، كان 1.64 مليون من الذكور. أي ٪75.

وتوجد العديد من النظريات التي تجعل الكثافة السكانية من العوامل المهمة للجريمة. فمن ناحية، تتميز المناطق المكتظة بالسكان (والتي عادة ما تكون مدنا كبيرة) بشبكة أضعف من السيطرة الاجتماعية. إن صعوبة الكشف عن هوياتهم في المدينة يجعل من السهل على الأفراد ارتكاب جرائم. بالإضافة إلى ذلك، على غرار الحجة المطبقة أعلاه للتكوين العمري، فإن الكثافة السكانية الكبيرة تجعل "التوفيق" بين المجرم والضحية أكثر احتمالاً. قد يكون للمجرمين أيضًا وصول أكبر إلى الأثرياء في المناطق الحضرية. كما أن المناطق الحضرية نفسها تجتذب (أو تنشئ) أفرادا معرضين للجريمة؛ لذلك يتوقع المرء مرة أخرى تأثيرًا إيجابيًا للكثافة السكانية على معدلات الجريمة.

التفاعلات الاجتماعية

وفقًا لمؤشر Legatum Prosperity الذي أعطى في إطار تقييمه السنوي للازدهار العالمي، درجة "رأس المال الاجتماعي" لدول العالم، ما جعلها تحتل المرتبة الـ100 من بين فئات مثل (قوة العلاقات الشخصية والمدنية المشاركة ودعم الشبكة الاجتماعية). أظهر المؤشر أن أستراليا هي الركن الأكثر اجتماعًا في العالم؛ إذ تتصدر نيوزيلندا جدول الترتيب، تليها أستراليا. واحتلت كندا، على الجانب الآخر من العالم، المرتبة الثالثة. وفيما يأتي أعلى 10 دول من حيث التفاعل الاجتماعي الايجابي وفقًا لمؤشر.. Legatum Prosperity:

الدول الأعلى من حيث التفاعل الاجتماعي الإيجابي وفقًا لمؤشر Legatum Prosperity

المرتبة	الدولة	الدرجة من (100)
1	نيوزلندا	68.95
2	استراليا	67.60
3	كندا	66.23
4	الولايات المتحدة	65.45
5	ايسلندا	65.34
6	النرويج	65.06
7	الدنمارك	64.49
8	مالطا	63.77
9	المانيا	63.21
10	ايرلندا	63.09

وجاءت المملكة المتحدة في المرتبة الـ12، محصورة بين فنلندا وهولندا، والتي احتلت المرتبة الـ11 والـ13 على التوالي. وظهرت دول في أسفل القائمة مثل بوروندي واليمن، لكنها شملت أيضًا وجهات أكثر شعبية مثل المغرب والصين.

وعلى مر السنين، قام مؤلفو المؤشر باعتماد ما يسمى "الأعمدة الـ104 من الازدهار"، والتي تتناول كل المقاييس من السياسة إلى البيئة. يخلص تقريرهم الأخير إلى أن نيوزيلندا هي الدولة الأكثر ازدهارًا على وجه الأرض، تليها النرويج وفنلندا.

ومن ناحية أخرى وفي دراسة حديثة قام بها كل من (Glaeser وSacerdote)، لمعرفة سبب ارتفاع معدل الجريمة في المدن الكبرى أكثر من المدن الصغيرة أو المناطق الريفية. وقد قاما بتحليل العلاقة بين المدن والجريمة في أربع فئات: 1)- عوائد مالية أعلى للجريمة في المناطق الحضرية، 2)- احتمال أقل للاعتقال، 3)- خصائص خارجية فيما يتعلق بالموقع، 4)- خصائص داخلية المنشأ فيما يتعلق بالموقع. ووجدا أن: 45٪ من هذه العلاقة يمكن تفسيرها من خلال حقيقة أن العائلات أقل سلمية في المدن؛ 26٪ من مستويات الفوائد الأعلى في المدن و12٪ من انخفاض احتمال الاعتقال. وبالتالي، تؤكد هذه الدراسة كيف تلعب الخلفية العائلية وأقران الأحياء دورًا رئيسيًا في السلوك الإجرامي. بعبارة أخرى، يتأثر الأفراد في اتخاذ قراراتهم بواسطة مكونات مجموعات الأقران (أي الأقارب والآباء وزملاء الدراسة والجيران) وخلفيتهم الاجتماعية والاقتصادية.

ومما يلفت الانتباه أن الباحثين وجدوا أن بيئة دول جنوب أوروبا والمطلّة على البحر الأبيض المتوسط تقل فيها معدل الجرائم نتيجة الروابط العائلية القوية فيها (Kohli et al.، 2005)، على الرغم من ارتفاع معدل البطالة في بعض مدنها. عليه فإن شبكة الأمان العائلة هي بمثابة أداة لامتصاص الصدمات بعد أن يفقد الشخص وظيفته أو يبحث عن وظيفة لفترة أطول مما كان متوقعًا في البداية، وبالتالي قد يؤخر الانتقال من البطالة إلى الجريمة.

المراجع:

Becker, Gary. 1968. "Crime and Punishment: An Economic Approach." Journal of Political Economy, 76(2): 169-217.

Freeman, Richard B. 1996. "Why Do So Many Young American Men Commit Crimes and What Can We Do About It?" The Journal of Economic Perspectives, 10(1): 25- 42.

Farrington, David P. 1986. "Age and Crime." Crime and Justice, 7: 189-250.

• Grogger, Jeff. 1998. "Market Wages and Youth Crime." Journal of Labor Economics, 16(4): 756-791.

Levitt, Steven D. 1999. "The Limited Role of Changing Age Structure in Explaining Aggregate Crime Rates." Criminology, 37(3): 581-597.

Levitt, Steven D. 2004. "Understanding Why Crime Fell in the 1990s: Four Factors That Explain the Decline and Six That Do Not." The Journal of Economic Perspectives, 18(1): 163-190

أ. مبارك سعد العطوي

القانون.. تلك الرسالة التي تحمل كل المعاني..

ماذا يعني لنا هذا المصطلح الجميل؟ وماذا يحمل معه من تأثيرات تشكّل معها نواميس لسير الحياة وتسييرها؟ كلمة تقف معها ووراءها كل القوى التي إن شاءت أنزلت الأمن كله، وإن شاءت زلزلت الأمر كله.

إنّ القوة هي من يصنع القانون، وهي أيضاً من يضعفه، إنّه لا يعدو أن يكون بنودًا وموادَّ وأشياء أخرى تكون بينهما، هل هو فعلاً شيء ضروريّ ومهمّ في حياتنا، بكلّ تأكيد سيكون الردّ بالإيجاب وبألف نعم، وإن كان في نظر الأقوياء وأصحاب النفوذ والسيطرة شيء آخر، إنّه القيود الملونة التي يتمّ وضعها لإحكام السيطرة وتأكيدها، بحيث تصبح جميع الأمور وكل التصاريف والحياة بأكملها خاضعة لهذا المدعو بـ"القانون". إنّه غطاء ووسيلة وذريعة أو سمِّها ما شئت لتحقيق كلّ الذي يريدون فرضه من تسهيل أو تسيير من إجازة أو ممانعة من حياة أو موت، سواءً كان الأمر فردياً أو جماعياً، أو حتى إن كان دولة أو أوسع من ذلك، فيشمل قانونهم هذا القارة بأكملها.

هو القانون، وهم من يصنعه ومن يضع النقاط والحروف في كل صفحاته وعناوينه، والأجمل من ذلك أنّ جميع المشاركين في وضعه وتأسيسه هم الذين يدوسون فوق كلّ الألوان والأحكام التي تزيّن هذه الدساتير ويدوسون فوق الأدراج التي تحملها.

كلّ ذلك؛ لأنهم هم القانون وهم القضاة أيضاً، وهم يشكّلون كلّ المصادر وكلّ الأحكام، ويبقى العالم بكل قاراته ودوله والملايين من شعوبه يخضعون لسلطة هذه القوة المركزية التي تمنح هذه الأمم والدول ما تريد أن تمنحهم، ضمن قيودها وقوانينها التي تشكّل في نهاية الأمر هذا القانون الذي نحمله ونخاف منه ومن كلّ التبعات التي نحمل معها كلّ الويلات في حال مخالفته أو الاعتراض عليه.

عجبٌ هذا العالم، بدا أول أمره يرعب الناس ويشقيهم بسبب غياب ما يحميهم ويحفظ لهم حقوقهم وحياتهم. كانت القوة هي الحكم وهي العدل وهي الظلم أيضاً، قتل ونهب واستيلاء وتدمير وجور لا ينتهي، يزيد في أقوام ويهلكهم وينتهي بآخرين، وتظل القوة والجبروت هي السلطة وهي القانون.. ومرة يكون سببها الجوع والعوز ومرة الطمع والجشع، ومرات يكون جنون العظمة والتوسع وزيادة النفوذ والسلطان.

التاريخ مليء بكل هذه المفارقات، والنزعة الشريرة تكون دائماً هي الشرارة الأولى، بحيث تكبر وتزيد معها تلك النفس الأمارة بالسوء والتي يقودها الشياطين من أجل بناء الشر وتدمير الحياة وحرقها.

دول وأمم وحضارات وأسماء شكلت تاريخ هذا الصراع البشري المدمر الذي بدأ مع أول فجر للخليقة.. ولا يزال يحصد الأمور بأشكال وأساليب لا تختلف كثيراً عن سابقاتها، مما كنا نسمع أو ما كنا نقرأ وما حل بها من دمار وهلاك أصبحت جميعها خبرا بعد أن كانت عينا، وهم يعيدون تصدير تلك النهايات المحزنة لتكون المصير المرتقب للأمم اللاحقة.

القانون هو السمة الحضارية التي تشكل للناس والمجتمعات ما يمكنهم فعله والمسموح

لهم ممارسته، ينظم حياتهم ويحميهم من أجل أن يكونوا شعوباً متحضرة يحترم بعضهم بعضا.. وأن يسهموا معاً متحدين في تحقيق شيء من العدالة في كل معيشتهم وتعايشهم، هذه هي النظرة المأمولة من وجود القانون.. وهو ما يتصوره الناس البسطاء أنه وجود لحمايتهم وتحقيق مصالحهم، لكنه في الحقيقة هروب من سلطان الغاب الذي كان مسيطراً، والذي كان لا يفرق بين حق ولا باطل.. ولا يعرف من هموم هذه الحياة وشجونها سوى القوة وكيفية بسطها واستغلالها بالصورة التي تكون هي القانون الوحيد الذي يجب أن يخضع له الجميع.

لا أحد منا يرغب في العودة إلى حكم الغاب وقانون الوحوش.. الذي لا يرحم أحدا ولا يقيم أمناً ولا حياة، دعاة القانون والفضيلة هم أكثر الناس تمسكاً بكل هذه الفوضى، فالقانون الذي نتكلم عنه والذي يحوي كل العدالة والمساواة، يشكل لهم قيداً صعباً لحصولهم على الثروات والسيطرة على مراكز القوى والنفوذ من أجل التحكم في مصير هذه الأمم والشعوب المغلوبة على أمرها والسعيدة دائماً بشيء جميل اسمه القانون، بل إنهم سعداء بوجود أسمائهم في قائمة القانون.

فإنه طالما استمرّ هذا الإنسان في جشعه وأطماعه وإصراره على السيطرة المطلقة، ووضع كل تلك المسافات بينه وبين أخيه الإنسان فإن الحياة ستظل في هذه الدوامة بين الجزع والخوف والاستماتة لتكريس هذه الشرور الأنانية من أجل التدمير والهدم والتسريع بها للقضاء على كل ما هو جميل وممتع في هذه الحياة.

> القانون أملنا الذي ننشده، من أجل خلق التوازن والعدل بين كل مخلوقات الأرض

ويظل القانون هو أملنا الذي ننشده، من أجل خلق التوازن والعدل بين كل مخلوقات الأرض، ضمن المعايير التي تحفظ عليهم حياتهم ومعيشتهم، ولكن ذلك لن يكون أبداً إلا بقانون تحفظه السماء ويحمله من بين خلقها نبلاؤها وحكماؤها الذين يسبقهم قبل كل علومهم وتميزهم إيمانهم الأعمق بالسيطرة على دساتير العدالة والتكامل والمساواة والمحافظة على كل شيء جميل في هذا الكون، بموازين تحمل للإنسانية ظلالاً من الطمأنينة والأمان من أجل الوصول إلى عالم قد يكون مثالياً.

هذه مجرد أمنية قد يحملها معي العديد من الناس.. أسال الله أن تتحقق ولو بعد حين.

التربية الإيجابية في ضوء الذكاءات المتعددة

نحن مدينون للصغار بتنمية مهاراتهم

د.هدى صباح

هل تعدد الذكاءات وتنوعها أمر فطري أم مكتسب؟ وهل للبيئة المحيطة دور في إيقادها أو إخمادها؟

يشهد عالمنا المعاصر تطورا ملحوظا في مجالات الدراسات والأبحاث العلمية والتربوية، ودأب العلماء على استحداث العديد من النظريات في مجال التربية وتعلم المهارات التي تراعي الفرد في العديد من الجوانب وتنادي بأن جميع الأطفال أذكياء وقادرون على العطاء.

ومن النظريات المهمة التي دعمت هذا الاتجاه نظرية الذكاءات المتعددة، وهي من النظريات المستحدثة التي تراعي الفروق الفردية، فنظرية الذكاءات المتعددة ما هي إلا إعادة قراءة لما سبق بطريقة منظمة وبدقة وتجميعها والاستفادة منها. وتعتبر نظرية الذكاءات خلاصة دراسات وأبحاث كثيرة، وهي تبين الفرق بين أنواع الذكاءات، وتعتبر ضرورية للعملية التربوية؛ لأنها تساعد على منح الفرص لجميع الأفراد للمشاركة والتعلم، وقد بنيت النظرية على حقائق عدة، هي:

الحقيقة الاولى: كل شخص يمتلك جميع أنواع الذكاءات، ولكن بعض الذكاءات تنمو بشكل متواضع والباقي ينمو بمستويات مرتفعة.

الحقيقة الثانية: يمكن للجميع تطوير كل واحدة من الذكاءات إلى مستوى كفاءة مناسب شريطة توافر الاستثارات الحسية الملائمة.

الحقيقة الثالثة: تعمل الذكاءات المتعددة سويا بطريقة معقدة.

الحقيقة الرابعة: هناك طرق كثيرة ليكون الفرد ذكيا ضمن كل فئة من الفئات.

وهذه الحقائق بمعطياتها تؤكد فكرة أن الله عز وجل لم يحرم أحدا من ميزة أو ميزات، وأن كل إنسان منا جاء للحياة وفي داخله كنوز يجب العمل على اكتشافها والاستفادة منها، ومن هنا يتبين أن التنوع وتعدد القدرات سنة الحياة، مما يعطي الحياة ثراءً وتكاملاً، ومن هذا المنطلق ظهرت فرضيات الذكاءات المتعددة لتعيد رؤيتنا الشاملة لأنفسنا ولأبنائنا، ولنتعرف على مواطن قوتنا وضعفنا، فكثيرًا ما حرص آباء وأمهات على تطوير مهارة ما، وإهدار مساحات هائلة من قدرات أخرى، وقد أجمع علماء الوراثة والبيئة أن جميع الأطفال أذكياء، وأن لكل طفل ذكاءات متعددة، قد يتطور البعض منها بمستويات متفاوتة، وأخرى تخبو وتندثر إذا لم تلق الاهتمام الكافي، فالذكاء لا يخضع للموروثات الجينية فحسب وإنما يعتمد بشكل رئيسي على دورنا كآباء وأمهات في تطويع البيئة واستخدام المحفزات والاستثارات المناسبة كافة من أجل تهيئة الطفل وتنمية قدراته الذهنية التي تشتمل على الذكاء العقلي والوجداني والنفسي والانفعالي، فوجود الاستعداد الوراثي وحده لا يكفي ما لم يتم تنميته من قبل البيئة المحيطة.

لذا ينصح اختصاصيو التربية وعلم النفس الأباء والأمهات بأهمية العمل ببرامج تنمية الذكاء والتي تشمل تحسين الذاكرة وتعلم المهارات الجديدة، علاوة على الاهتمام باكتشاف ميول الطفل واهتماماته، وخاصة في سنٍّ مبكرة بقصد مساعدته وإبراز مواطن القوة في قدراته وتنميتها، فقد يكون في الرسم والإبداع والفن، أو في الحفظ والتحصيل، أو في المجالات الرياضية، أو في كفاءة التواصل مع الآخرين، وهناك الذكاء المركب الذي يشمل أكثر من نوع من الذكاء.

الذكاء: آفاق بلا حدود

عرّف جاردنر الذكاء بأنه جملة من العمليات الذهنية ومهارات لا حدود لها تمكن الطفل من حل المشكلات التي يواجهها والتكيف مع الأوضاع الجديدة، وليس للذكاء بعد واحد فقط، بل أبعاد عدة يمتلكها الأطفال جميعا

ولكن بنسب مختلفة، ولهذا التباين أسباب كثيرة وعوامل يتداخل بعضها مع بعض ليخرج لنا في النهاية منتج الذكاء الشامل الذي يظهره الطفل في كل سلوكياته، ويمكن للجميع تطوير كل ذكاء من هذه الذكاءات إلى مستوى ملائم من الكفاءة في حالة وجود الدعم الملائم من المحيطين؛ لأن وجود الاستعداد الوراثي وحده لا يكفي ما لم يتم تنميته من قبل البيئة المحيطة، ويتم تنمية الذكاء من خلال خطوتين أساسيتين، وهما تعريف الطفل بأنماط الذكاء المختلفة، ودور كل ذكاء في حياتنا. وبكلمات أخرى، تنمية الدافع لدى الطفل لتنمية كل نمط من أنماط الذكاء المختلفة، فإذا كنا بحاجة إلى الذكاء الاجتماعي كي ينعم الطفل بعلاقات اجتماعية جيدة يجب عندئذ تشجيع الطفل على ممارسة الأنشطة التي يمارس فيها أنماط الذكاء المختلفة بطريقة شيقة ومسلية حتى يتمكن من اكتساب المهارات المفقودة وإتقان مهارة التفكير الجيدة، ووفقا لتصنيف جاردنر وهو أحد مؤسسي نظرية الذكاءات المتعددة تم تقسيم الذكاء إلى ثمانية أنواع تمثل الذكاء العام عند الطفل، ومنها ما يأتي:

1- (الذكاء اللغوي): ويعني القدرة على التعبير من خلال الحصيلة اللغوية التي يمتلكها الطفل، ويتميز الطفل الذي لديه هذا النوع من الذكاء، بقدرته على حسن الاستماع والحفظ الجيد لما يسمعه من أناشيد الحضانة، كما أنه يتعلم أكثر عن طريق التعبير بالكلام، وعن طريق السمع ومشاهدة الكلمات، علاوة على اهتمامه الشديد بقراءة القصص والملصقات.

2- (الذكاء المنطقي أو الرياضي): حيث يتميز الطفل برغبته الشديدة في معرفة العلاقات بين الأسباب والمسببات، وتصنيف مختلف الأشياء ووضعها في فئات، والقيام بالاستدلال والتجريب والرغبة في اكتشاف الأخطاء، وله قدرة على التصور، ولديه أفكار

جريئة، وهو كثير الأسئلة، ودائم التفكير، ويحب العمل بواسطة الأشكال كما يتقن الطفل مهارات الأرقام ومعالجة الأمور بشكل منطقي ومنهجي.

3- (الذكاء الحسي أو الحركي): ومن مؤشراته المشي مبكرًا، والاستمتاع بالرياضة والأنشطة الجسمية والحركات الإبداعية، واستخدام حاسة اللمس لاستكشاف الأشياء ويميلون إلى الوجود في الفضاء، وكثيراً ما يستخدمون أيديهم وأرجلهم عندما يفكرون، كما يفضلون خوض المغامرات الجسمية كتسلق الجبال والأشجار.

4- (الذكاء الاجتماعي أو التفاعلي): يجيد الطفل الذي يتمتع بهذا النوع من الذكاء فنون التعامل مع الآخرين، وفهم مشاعرهم، وقراءة أفكارهم، كما يتميز بقدرته على إقامة علاقات وطيدة مع أصدقائه وإنجاز الأنشطة الجماعية ويشعر بالاطمئنان داخل مجموعته، كما يختار الألعاب التي يشارك فيها الغير وهو غير ضنين على غيره بما لديه من لعب، وقد يظهر سلوكه صفات الزعيم.

5- (الذكاء الذاتي): وتعني القدرة على فهم الذات وتقديرها وإدراك نقاط القوة والضعف، علاوة على إتقان مهارات التخطيط، ومن مؤشرات هذا النوع من الذكاء أنهم كثيراً ما يستغرقون في التأمل، ولديهم آراء محددة قد تختلف في معظم الأحيان عن آراء الغير، ويفضلون الأنشطة الفردية، ولهم إرادة صلبة، ويحبون الاستقلال، ولديهم رؤية ومشاريع يسعون إلى تحقيقها.

6- (الذكاء النغمي أو الموسيقي): وتعني إتقان مهارات تذكر النغمات وتذوقها، علاوة على إجادتهم تقليد أصوات الحيوانات وغيرها.

7- (الذكاء البصري أو الفراغي): وهو نوع من أنواع الذكاء المتعلق بالأشكال، حيث يجيد ممتلكها مهارات الرسم وتنسيق الألوان والاحتفاظ بذاكرة الأماكن.

8- (الذكاء الحيوي أو البيئي): وهو ذلك النوع المتعلق بمهارات الطبيعة، ويمكن التعرف على مؤشرات هذا الصنف من الذكاء لدى الأطفال من خلال المظاهر التالية: إنهم يهتمون بالنباتات والحيوانات، ويقومون برعايتها، كما يظهرون شغفاً بتتبع الحيوانات وتربيتها وتصنيفها في فئات، وهم يحبون الوجود باستمرار في الطبيعة، ويقارنون بين حياة مختلف الكائنات الحية، كما تستهويهم المطالعة في كتب الطبيعة.

سؤال يطرح نفسه: هل للوراثة دور في نقل صفات الذكاء؟

صرح العلماء والمختصون في مجال علم الوراثة أن ذكاء الفرد يتوقف على أثر كل من الوراثة والبيئة وتفاعلهما، فقد يرث الطفل صفات أبيه وذكاءه، لكنه يبقى كامنا ما لم تتدخل البيئة المحيطة لإبرازها وتمييزها وتنميتها، إذ إن التربية الجيدة والتوجيه الفني يساعدان على إبراز وتنمية الذكاء. وهنا إشارة بالغة إلى دور البيئة المحيطة في تهيئة الطفل وتنميته لكي تظهر صفة الذكاء، وهناك اتجاه آخر يقول إن للوراثة دوراً كبيراً في نقل صفات الذكاء، شرط أن يتم تلميع ورعاية هذا الذكاء وتنميته باستمرار لدى

الطفل الوارث لهذه الصفة، وللذكاء أنواع كثيرة، وليس من الضروري أن يكون الشخص مرتفع الذكاء في كل المهارات، ولكن يمكن أن يكون مميزاً بدرجة عالية للغاية في مجال ما ويتفوق فيه على كل أقرانه.

الذكاء الفطري والذكاء المكتسب وجهان لعملة واحدة كلاهما يكمل الآخر

التكامل بين نوعي الذكاء الفطري والمكتسب أمر ضروري؛ لأن معدل الموروثات الجينية يتأثر بشكل ملحوظ بالجزء المتعلق بكل الاستثارات المتوافرة في البيئة المحيطة، وفي السياق نفسه أكد اختصاصيو الفسيولوجيا العصبية أن الذكاء المكتسب هو الأقوى والأكثر تأثيراً من الذكاء الوراثي أو الفطري، وذلك بفضل توفير مجموعة من المحفزات والاستثارات البيئية التي تساعد على التعلم، وأكدت الأبحاث أن دماغ الطفل الذي يبلغ من العمر 6 سنوات يستطيع أن يكتسب 83% من وزن المخ في سن البلوغ، فهذا العمر يعد فترة ملائمة للتعلم؛ لأن الطفل -بيولوجيا- في هذه المرحلة العمرية لديه استعداد قوي لتطوير ذكائه، فيما أكد أولياء الأطفال الفائقي الذكاء أن أبناءهم لم يولدوا فائقي الذكاء، وإنما أصبحوا كذلك بسبب الطرق التعليمية التي وفّروها لهم، ومن ثم يستطيع الأطفال جميعًا أن يكونوا أذكياء شرط توفير الوسائل التعليمية التي تبلور ذكاءهم، وتنمية الذكاء الفطري ليس شيئاً صعباً، فهناك كثير من أساليب تنمية الذكاء، ومنها الدورات والبرامج التي توضح وتشرح طرق الارتقاء بقدرات الذكاء، ولا يمكن للمدرسة فقط أن تقوم بدور رعاية وتنمية الذكاء، فالأسرة يقع عليها دور كبير، ولا بد أن تتكامل الأدوار لنجاح عملية تطوير الذكاء لدى الطفل، ولا بد من ملاحظة أين يكون ذكاء الطفل، وخاصة في مراحل الطفولة المبكرة فالبيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الطفل مهمة جدًا؛ لأنها تقدّم الدعم، فمن الأسرة تنتقل الرغبة في التعلم والمعرفة إذ لاحظت دراسات نفسية مختلفة أنه رغم أن مرحلة الطفولة المبكرة تبقى فترة رئيسة للتعلم، فإن الأطفال الذين نشأوا في بيئة اجتماعية تقدّر العلم والمعرفة، يتطور ذكاؤهم بشكل إيجابي في سن المراهقة؛ لأنه قد توافرت لهم بيئة اجتماعية صحّية.

أخطاء تربوية ومفاهيم مغلوطة يرتكبها الآباء والأمهات تؤدي إلى ضعف الذكاء:

1- اقتران الذكاء بالتفوق الدراسي: فمن الأخطاء التربوية التي يقع فيها كثير منا كآباء وأمهات هي اقتران الذكاء بمدى تقدم أطفالنا الدراسي والأكاديمي، وهو أمر في غاية الخطورة، فالذكاء لا يعني التقدم الدراسي فقط، فعبقرية الإنسان لا حدود لها، ولا ترتبط بمجال واحد، فهناك من سُطرت أسماهم في التاريخ كأعظم الرسامين والموسيقيين دون أن يهتم أحد بمدى تفوقهم الأكاديمي ؛ لذا يجب علينا اكتشاف مواهب أطفالنا منذ الصغر والعمل على تنميتها.

2- تجاهل الإجابة على أسئلة الطفل: ومن أكثر الأخطاء التي يرتكبها الأهل هي رفض الإجابة عن أسئلة أطفالهم تحججًا بضيق الوقت، وهو أمر في غاية الخطورة حذر منه استشاريو التربية وعلم النفس، ونصحوا بضرورة حث الأطفال على طرح مزيد من

الأسئلة بدلاً من منعهم، فجميع الاختراعات العظيمة بدأت بطرح سؤال، ويمكن تخصيص وقت محدد في اليوم للإجابة عن تلك التساؤلات، كما يجب أن نوجه الطفل إلى طرق البحث عن إجابات أسئلتهم من خلال الاستعانة بالكتب وأجهزة الكمبيوتر حتى يعتاد البحث واكتساب مزيد من المعلومات.

3- عدم مشاركة الأطفال اللعب: يرى البعض منا أنَّ اللعب مضيعة للوقت بغرض اللهو والتسلية، في الوقت الذي شدد فيه خبراء التربية وعلم النفس الطفولي على أهمية اللعب ودوره في تنمية مركز الاختراع والابتكار والخيال لدى الطفل؛ لذا يجب على الأهل تخصيص ما لا يقل عن ساعة يوميًا لمشاركة الأطفال في اللعب للتمكن من قراءة أفكارهم وما يدور في أذهانهم، وينصح بأن تتاح الفرصة للطفل لكي يقود اللعبة، فهذا هو عالمه الخاص الذي يطلق لخياله العنان فيه، وهو ما يساعده على إبراز أفكاره وابتكاراته الخاصة ورؤيته للعالم.

5- المقارنة بين الأبناء وعدم المساواة بينهم: فمن الأخطاء الشائعة التي قد تقع فيها الأسرة مقارنة طفل بآخر، سواء كانت المقارنة بينه وبين أخيه أو جاره أو صديقه، مما يؤدي إلى فقدانه الثقة بالنفس، فقد صرح علماء النفس الطفولي بأنه من الأهمية بمكان تأكيدُ الفوارق بين الأبناء لا التَّفرقة، وتقبل التمايُز فيما بينهم، والتعامُل معهم على أنَّهم أشخاص ذوو شخصيات مُختلفة ومتمايزة، بما حباهم الله من خصائص ومهارات، والابتعاد عن المقارنة مهما كانت الفروق بين الأبناء، وعليهم التعامل مع كل طفل بتفرد، وأن يعلموا أن لكل إنسان إيجابياته وسلبياته ونقاط تفوقه، سواء على المستوى العلمي أو الرياضي أو الفني، وعليهم أيضا اكتشاف ميول الأبناء وتنميتها لرفع ثقتهم في أنفسهم. وفي السياق نفسه أكد المختصون أن لعامل المساواة بين الأبناء عظيم

الأثر في تنمية قدراتهم على مواجهة المشكلات الحياتية، وتزيد من ثقته بنفسه وفيمن حوله، وتساعده على الاستقلالية في التفكير، وحب الاستطلاع، والرغبة في الإنجاز، واكتساب الخبرات، والبحث عنها بصورة إيجابية، فلكل طفل خصاله الفريدة التي تفرض على الوالدين معرفة خصائصه واحتياجاته، ونموه النفسي والاجتماعي، وتنمية قدراته العقلية والإبداعية.

التسلط أو السيطرة

ويعني تحكم الوالدين في نشاط الطفل والوقوف أمام رغباته حتى ولو كانت مشروعة أو إلزام الطفل بالقيام بمهام تفوق قدراته وإمكانياته مع استخدام العنف أو الضرب أو الحرمان أحيانا، وتكون قائمة الممنوعات أكثر من قائمة المسموحات، كأن يجبر الطفل على ارتداء ملابس معينة، أو طعام معين، أو مرافقة أصدقاء معينين ظنا من الوالدين أن ذلك في مصلحة الطفل غير مدركين لخطورة هذا الأسلوب على صحة الطفل النفسية وعلى شخصيته مستقبلا فينشأ الطفل ولديه ميل شديد للخضوع واتباع الآخرين ولا يستطيع أن يبدع أو يفكر، وتفقد الطفل الثقة بالنفس وعدم القدرة على اتخاذ القرارات، علاوة على شعوره الدائم بالتقصير وعدم الإنجاز.

إثارة الألم النفسي

ويكون ذلك بإشعار الطفل بالذنب كلما أتى سلوكا غير مرغوب فيه، أيضا تحقير الطفل والتقليل من شأنه والبحث عن أخطائه ونقد سلوكه، مما يُفقد الطفل ثقته بنفسه، فيكون مترددا عند القيام بأي عمل خوفا من حرمانه من رضا الكبار وحبهم، وعندما يكبر هذا الطفل فيكون شخصية انسحابية منطوية غير واثق من نفسه.

التذبذب في المعاملة

ويعني عدم استقرار الأب أو الأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، فيعاقب الطفل على سلوك معين مرة، ويثاب على السلوك نفسه مرة أخرى، وغالبا ما يترتب على اتباع ذلك الأسلوب شخصية متقلبة مزدوجة في التعامل مع الآخرين فاقد القدرة على الاستيعاب والتركيز.

إهانة الطفل والسخرية منه

إهانة الطفل والسخرية منه أمام أحد أقاربه أو أمام أصدقائه أو أمام الغرباء في أماكن عامة، تجعل الطفل يفقد احترامه لنفسه وتقل ثقته بنفسه، وتهتز صورته عن احترامه لذاته، ويشعر كأنه بلا قيمة ومحط سخرية الآخرين فيصبح الطفل انطوائيا ومنعزلا اجتماعيا. ويؤكد المختصون أن النتائج المترتبة على استخدام هذا السلوك كفيله بتأخر بعض مراكز النمو الذهني.

التهديد والتهذيب باستخدام الكلمات المسيئة

أن تطلب من الطفل أن يفعل شيئًا ما تحت التهديد يعد من أسوأ أنواع التربية للطفل؛ لأن التهديد يزعزع ثقة الطفل بنفسه ويسبب خوفا شديدا للطفل من والديه، ويجب عدم استخدام كلمات مسيئة وألفاظ دنيئة أثناء تهذيب سلوك الطفل، فالإساءة اللفظية لطفلك لا تقل ضررًا عن الإساءة الجسدية، بل إنها تترك في نفسية الطفل آثار نفسية سيئة، وبالتالي يجب أن يحرص الأهل على اختيار ألفاظ محترمة عند

التعامل مع الطفل وعند التعليق على تصرفاته وسلوكياته والبعد عن السب والشتائم؛ لأنها تؤثر بشدة على نفسية الطفل ونظرته لنفسه.

العنف الجسدي

إنّ الضرب يؤثر سلباً في التطور المعرفي للأطفال؛ فقد خلصت نتائج دراسات عدة أنّ الضرب يمكن أن يقلل الذكاء، ويحد من المادة الرمادية في دماغ الطفل، وهي التي تؤثر في قدرته على التعلم. ووفقاً لما أشار إليه علماء النفس فإن العنف الجسدي ليس حلًا على الإطلاق، بل إنه من أخطر طرق تربية الأبناء، ويؤثر على مستوى التحصيل الدراسي لهم حتى وإن كانوا أذكياء.

نصائح مهمة لتطوير مجالات الذكاء لدى الأبناء:

أثبتت أحدث الدراسات أن السنوات الخمس الأولى هي من أهم مراحل الطفل العمرية لتنمية ذكائهم وقدراتهم شريطة إعطائهم الفرصة كاملة للتعبير عن مشاعرهم وحاجاتهم ومنحهم حرية الاختيار، فأطفالنا ليست نماذج مكررة من البشر، وما يصلح لطفل قد لا يتناسب مع الآخر، ويجب عدم فرض أشياء محددة ليقوم بها، وخاصة إذا رفضها الطفل، أو لم يفضلها، فعلى سبيل المثال يستخدم بعض الأهل ألعاب البازل لتنمية ذكاء أطفالهم، ولكن هذا لا يعني ضرورة خضوع الطفل لممارسة تلك الألعاب حتى ينمو ذكاؤه، ففي حالة رفضه لها يجب تقديم بدائل أخرى مثل التلوين أو الألعاب التي تصدر أصواتًا، ومن الأهمية بمكان وضع جدول يومي مرن يسمح فيه للطفل بممارسة جميع النشاطات مثل: اللعب، المذاكرة، ممارسة الهوايات، الرياضة، مشاهدة التلفاز، فجميع تلك النشاطات يحتاج إليها الطفل، ويجب عدم الاهتمام بجانب واحد فقط على حساب الجوانب الأخرى، كما يجب

التنبه لعدد الساعات التي يمضيها الطفل في مشاهدة التلفاز، وأن تتراوح بين ساعة وساعتين فقط، حتى يتاح له ممارسة بقية النشاطات المهمة، كما أن تنظيم اليوم يساعده على تقدير قيمة الوقت وتنظيم أفكاره وحياته. وفيما يأتي بعض النصائح المهمة لمساعدة الطفل على تطوير معدلات الذكاء في المجالات كافة:

1- التحدث مع الطفل والاستماع إليه لتعزيز التواصل والقدرات اللغوية علاوة على مشاركته اللعب وقراءة الكتب، الأمر الذي يساعد على تنمية قدراته العقلية ويزيد من ثقته في نفسه.

2- العناق والمحبة لهما تأثير قوي على تطوير الذكاء والمهارات.

3- تشجيعه على اللعب الفردي والجماعي لتطوير مهاراته الفكرية والاجتماعية والبدنية والعاطفية، علاوة على اكتسابهم مهارات الدمج بين الأفكار والانطباعات والمشاعر مع الآخرين.

4- حث الطفل على ممارسة الرياضة البدنية، فهي تزيد من تدفق الدم إلى الدماغ، ولها تأثير قوي على الصحة العقلية، وتتبنى خلايا جديدة في المخ ولها تأثير قوي على الصحة العقلية.

5- الاهتمام بالموسيقى لتعزيز الذاكرة والانتباه، لدورها البالغ الأهمية في تحسين الصحة العقلية والذاكرة.

6- تشجيع الطفل على ممارسة ألعاب الكمبيوتر الذكية وتعليم الحروف والرياضيات والموسيقى والصوتيات وغيرها، إذ إنها تطور التنسيق بين اليد والعين.

7- تدريب الطفل على البحث والاكتشاف من خلال لفت نظره إلى جميع العوامل المحيطة به، فالأطفال لديهم فضول شديد ويجب استغلاله؛ لذا شجع طفلك على التنبه لما يدور حوله، مثل: أنواع الشجر والحيوانات والطبيعة؛ لكي يعتاد على الملاحظة والرغبة في معرفة كل ما يحيط به في الكون.

8- الاهتمام بالأطعمة الصحية التي تنشط الذاكرة وتنمي العقل، حيث خلصت عدد من الدراسات الطبية إلى أن نوع الطعام يلعب دورا مهمًّا في رفع نسبة الذكاء لدى الأطفال، مثل اللحوم الغنية بالأحماض الأمينية المهمة، وكذلك الأسماك لاحتوائها على بعض الأحماض الدهنية الأساسية التي تحمي الخلايا العصبية، وعلى أحماض أوميجا 3، كما أن السمك مصدر للبروتينات ولبعض المواد الغذائية، كاليود والسيلنيوم، علاوة على أهمية تناول الفاكهة كثمار الكيوي؛ لأنها من الثمار الغنية بفيتامين سي والبوليفنولات ومضادات التأكسد، وينصح المتخصصون بالتغذية بتناول حبة كيوي يوميا صباحا. كما ينصح بتناول الخضراوات كالسبانخ؛ لاحتوائها على نسبه عالية من فيتامين ب الذي يعمل على نقل الرسائل إلى الدماغ؛ لذا ينصح بتناول السبانخ مرة أو مرتين أسبوعيا، ومن الضروري تناول الفول السوداني والبقوليات؛ لكونها مصدرا مهما للبروتين والسكريات المركبة.

المراجع العربية:

1. كتاب تأسيس عقلية الطفل
2. تأليف: أ.د عبدالكريم بكار
3. الناشر: دار وجوه للنشر والتوزيع
4. سنة النشر: 1433 – 2012
5. × كتاب: 150 طريقه لتمنية ذكاء الطفل من عمر يوم واحد إلى عمر 6 سنوات
6. تأليف: آن باكوس، كريستيان رومان
7. تاريخ النشر: 2001/5/1
8. الناشر: شركة دار الفراشة
9. الطبعة: 1
10. الذكاءات المتعددة والفهم: تنمية وتعميق جابر عبدالحميد جابر×
11. تأليف: جابر عبدالحميد جابر
12. الناشر: دار الفكر العربي
13. مكتبة كتب التنمية البشرية
14. سنة النشر: 2003م

المراجع الأجنبية:

1. https://www.toolshero.com/effectiveness/gardners-multiple-intelligences/
2. MULTIPLE INTELLIGENCES THEORY (GARDNER)
3. https://www.learning-theories.com/gardners-multiple-intelligences-theory.html
4. http://www.earlychildhoodnews.com/earlychildhood/article_view.aspx?ArticleID=251
5. Armstrong, T. (1993). Seven kinds of smart. Los Angeles: Jeremy Tarcher, Inc.
6. Campbell, B. (1994). The multiple intelligence handbook. StanwoodWA: Campbell & Associates, Inc.
7. https://www.learningliftoff.com/howard-gardner-theory-multiple-intelligences/
8. https://www.learningliftoff.com/7-signs-your-child-has-a-high-iq/
9. https://www.tecweb.org/styles/gardner.html
10. http://healthland.time.com/2013/02/12/how-parents-who-play-favorites-hurt-the-entire-family/
11. http://www.theguardian.com/commentisfree/2015/jan/04/state-private-schools-education-equality
12. http://www.theguardian.com/commentisfree/2015/jan/04/state-private-schools-education-equality
13. https://www.psychologytoday.com/blog/surviving-your-childs-adolescence/201103/adolescence-and-paren

إعــلان

احمِ أغلى ما تملك مع أكسا العلامة التجارية الأولى للتأمين في العالم*

Protect what you value most with AXA, the no. 1 global insurance brand*

أغطية ذات جودة عالية تناسب جميع احتياجاتك:

Quality covers for all your needs:

تأمين المنازل
Home Insurance

تأمين السيارات
Car Insurance

تأمين ضد الحوادث الشخصية
Personal Accident Insurance

تأمين السفر
Travel Insurance

8000 1060
www.axa-gulf.com

*حسب تصنيف إنتربراند لعام ٢٠١٨

*As ranked by Interbrand 2018

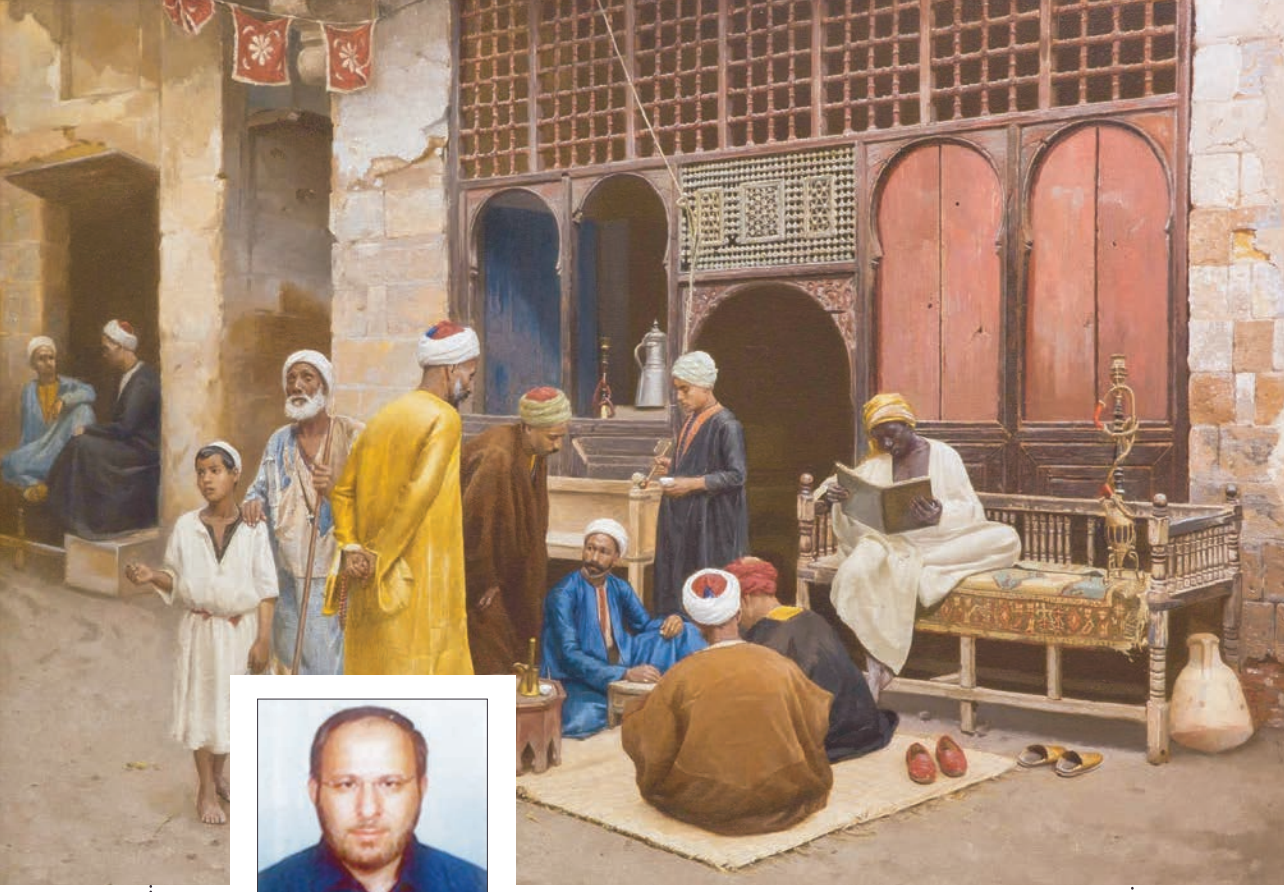

د. عصام خليل الدايح

الشَّرق العربي والغرب

((المؤثرات الثقافية العربية في نهضة الغرب))

موضوع المثاقفة بين الحضارات يحيلنا إلى موضوع العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب الذي شغل –ولا يزال– اهتمام الباحث التاريخي والباحث الصحفي في مجال الدراسات الحضارية والمستقبلية، ذلك أنّ فهم التأثيرات الثقافية المتبادلة بين الحضارات يشكل الانطلاقة الصحيحة لأي برامج حوارية هادفة تقوم على فهم الآخر والاعتراف بحضوره الإنساني والثقافي، وبالتالي تكون مخرجات العملية الحوارية أكثر إيجابية وفاعلية.

لقد ظلت الحضارة العربية الإسلامية تسيطر على مشارق الأرض ومغاربها أكثر من خمسة قرون، كانت فيها حامل لواء الحضارة الإنسانية عبر العصور. وما زالت آثار الحضارة العربية في مختلف المجالات ماثلة في الحضارات الأخرى، حيث أثّرت فيها، وسنحاول استجلاء تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية ودورها الكبير في النهضة الأوربية الحديثة.

لمحة تاريخية عن العلاقات الثقافية بين العرب والغرب

بدأت بواكير هذه العلاقة الثقافية بين العرب والغرب بعد قيام الدولة العربية الإسلامية، حيث بدأت الحياة الفكرية والثقافية العربيتين الإسلاميتين تشهد نموًا حضاريًا مطردًا في مقابل ركود ثقافي مزمن في الدولة البيزنطية امتد حتى نهاية القرون الوسطى.

"لقد برع المسلمون في شتى مناحي الحياة الثقافية والفكرية وتفوقوا على الغربيين الذين ظلوا على تبعيتهم الثقافية لليونان والرومان والعرب [1].

والثقافة الإسلامية أو الحضارة الإسلامية هي "ما وضعه الإسلام من قيم روحية بعد بناء القيم المادية التي يتم الاعتماد عليها في بناء كل حضارة متمثلة في الدين والعقيدة والعادات والتقاليد والأخلاق ونظم الحياة الفردية والجماعية، وكل ما ابتكره الإنسان في المجتمع الواحد المتحضر في دين واحد ولغة واحدة [2].

وينبغي الإشارة إلى أنَّ "ما أخذه الغرب من علوم عن المسلمين والرومان هو نابع من الحضارة اليونانية. فالعرب والرومان في العلوم ورثة اليونان بلا واسطة" [3]، بينما لم يستقِ الغرب من العلوم اليونانية إلاّ عن طريق المسلمين.

"لقد بنى المسلمون القدامى مجدًا علميًا في شتى الميادين الفكرية والصناعية"[4]. ومازال يعتمد بعضه في الغرب إلى يومنا هذا. وقد استحق بذلك الصورة المشرّفة للعرب والمسلمين القدامى، وقد شهد لذلك بعض علماء الغرب الذين تعمّقوا في دراسة الحضارات القديمة. كذلك ينبغي تأكيد أنَّ الحضارة العالمية التي نشاهد إنجازاتها العملاقة اليوم ليست من صنع الغرب وحده كما اعتقد البعض، وإنما هي ثمرة جهود ثقافات متلاحقة لعصور قديمة ووسيطة وحديثة. وسنقدّم فيما يلي أهم تأثيرات الثقافة العربية في النهضة الأوربية.

المؤثرات الثقافية العربية في النهضة الغربية في عيون علماء الغرب:

يقول الباحث ت.كولر يونغ: "إنّ الدَّين الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين خلال هذه الألف سنة، نسافر إلى العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية، ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن تناسينا شروط التبادل وأدينا ما علينا بربحه في حب واعتراف بالجميل".
لقد قامت الثقافة العربية الإسلامية بدورها الرائد على أكمل وجه، فساهمت مساهمة

فاعلة في بناء النهضة الثقافية والعلمية العالمية، وقد نقل العلماء العرب والمسلمون التراث الإغريقي وغيره من ألوان التراث العلمي الذي تقدم عليهم في التاريخ إلى اللغة العربية التي كانت علما وثقافة، وأثّر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوربية.

وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالبًا وواضحًا ومؤثرًا في كثير من المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشري، ونظرية التطور قبل "دارون" بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل "هارفي" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل "نيوتن" بقرون عديدة، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء. ولم تقتصر حركة النقل من الثقافة العربية الإسلامية التي أخرجت أوربا من عصورها المتوسطة المظلمة إلى عصورها الحديثة المتنورة على نقل المعارف القديمة من يونانية وهندية وبابلية ومصرية، من كتب باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فقط، بل أنّ أوربا المسيحية قد نقلت أيضًا معارف عربية خالصة، كما نقلت أنماطًا من الحضارة الإسلامية ومن الإيمان الإسلامي إلى حياتها العامة والخاصة. لقد نهل علماء أوربا من المصادر العربية الأصيلة، ووجدوا أنها تراث علمي عظيم، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. لقد كان العلماء العرب رواد المناهج العلمية الحديثة بكل أدواتها التجريبية والاستقرائية.

يقول المفكر روجيه غارودي في كتابه القيّم (من أجل حوار بين الحضارات): "ندين للعلم العربي بأهم كلياتنا في الطب، كانت موبيليه الأولى؛ فحتى القرن السادس عشر في فرنسا وحتى منتصف القرن التاسع عشر في إنجلترا كانت تطبع وتدرّس أبحاث الطب العربية، ومقالات الرازي الشهيرة. وكان العرب يمارسون منذ القرن الثامن الكشف عن عدسة العين بالرشف بواسطة إبرة مفرغة. كذلك ندين لهم بعلم الجبر، فقد نجح الشاعر عمر الخيام الذي عاش في حوالي عام 1100، في حل معادلات من الدرجة الثالثة باتباعه نفس الطريقة التي سوف يستعملها ديكارت بعد خمسة قرون طارحًا على هذا النحو أسس الهندسة التحليلية[5].

إنّ قوة الثقافة العربية الإسلامية وازدهار العلوم والفلسفة والفنون العربية جعلت كاتبًا فرنسيًا كبيرًا كـ"أناتول فرانس"

يأسف في كتابه (الحياة المزدهرة) لعدم انتصار العرب المسلمين على الفرنسيين في معركة بواتييه عام 732، ويقول: "إنّ ذلك اليوم هو اليوم الأكثر شؤمًا في تاريخ فرنسا حيث تراجع العلم والفنّ والحضارة العربية أمام البرابرة الفرنجة"[6].

وشرح الكاتب "بلاسكو إبانيز" في كتابه (في ظل الكاتدرائية) أنّ "إحياء إسبانيا لم يأت من الشمال، مع الأقوام الرّحل البربرية ولكن من الجنوب مع العرب الفاتحين"[7].

ويقول مؤلف كتاب (عبقرية الحضارة العربية: ينبوع النهضة): "أمّا النهضة، فإنّ الغرب يدين بجزء كبير منها للفتح العربي الذي عرف كيف يخلق الظروف الفكرية للفتح" [8].

ويقول "روجيه غارودي": "في مطلع القرن التاسع عندما كانت أوربا لا تعرف القراءة افتتح الخليفة المأمون في بغداد، بمؤازرة أفواج من الكتبة والمترجمين، مكتبة هائلة: بيت الحكمة، حيث كانت تحفظ جميع المؤلفات الكبرى من الحضارات القديمة، وفي قرطبة كان أحد الخلفاء الأمويين، وهو الحكم يملك مكتبة كبيرة تحتوي على أكثر من مائة ألف مجلد في حين أن ملك فرنسا شارل الخامس لم يكن يملك بعده بأربعة قرون سوى ألف كتاب، إنّ اكتشافات العرب العظيمة مرتبطة بنظامهم الاقتصادي نفسه، فهم وهم يبنون إمبراطورية تجارية طوروا معها التقنيات والعلوم التي قفزت بدافع منهم إلى الأمام.

لقد كانوا وهم يمخرون البحار ويجتازون الصحارى بحاجة إلى أن يكونوا على علم تام بالجغرافية الفلكية، فبنوا المراصد الفلكية الكبرى الأولى في العالم، في سمرقند ودمشق وبغداد و القاهرة وقرطبة. وأعاد العرب في عام 770 اختراع الاسطرلاب الذي تخيله بطليموس، وسوف يستخدمه البحارة حتى القرن الثامن عشر. إنّ الجغرافيين والفلكيين العرب المكلّفين بوضع خرائط ضرورية لإدارة إمبراطوريتهم أدخلوا في اعتبارهم كروية الأرض التي أنكرها علماء اللاهوت في المسيحية. وفي القرن الثاني عشر انطلقت خرائط الإدريسي كذلك من مبدأ كروية الأرض" [9].

ويتابع المفكر "روجيه غارودي" في كتابه القيّم (من أجل حوار بين الحضارات) مبرزًا -بموضوعية العالم- الدور الكبير للحضارة العربية الإسلامَية وأسبقيتها التاريخية

وفضلها على الغرب في المجالات العلمية والثقافية والفكرية قائلًا: "لقد كان لي الحظ أن زرت مرصد سمرقند الذي لم يخطئ إلاّ بأربعة عشر ثانية فقط في تقدير السنة الشمسية. هذه الارتقاءات العلمية النظرية أعطت المسلمين تفوقًا بحريًا لا يجارى فيه، وقد سجّل ابن خلدون أن "المسيحيين لم يكونوا قط قادرين على أن يجعلوا لوحًا من الخشب يعوم على سطح البحر الأبيض المتوسط".

إنّ استكشافات ماركو بولو سحرت الغرب، والواقع أنَّ مؤلفًا عربيًا روى في عام 831 قبل ماركو بولو بأربعمئة وخمسة وعشرين عامًا، أخبار رحلة إلى الصين وصل أثناءها إلى كانتون، ولا شك حتى إلى كوريا واليابان. وهنالك مسلم اسمه (أحمد بن ماجد) في الزمن نفسه تقريبًا وضع بحثًا عن الملاحة في المحيط الهادي والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر الصين، سوف يستغله البرتغاليون أساسًا لدراساتهم البحرية في عصر هنري الملاّح الذي يمثل بالنسبة لنا نحن الأوربيين، قمة فنّ الملاحة.

وفكر أحد الخلفاء بشق برزخ السويس لكن أسبابًا استراتيجية منعته. وقلبَ العرب علم الحساب رأسًا على عقب، فابتكروا الأرقام العربية والصفر الذي يرتكز عليه النظام المتري، ولم تعرف أوربا تأثير هذه الثورة الحقيقة إلاّ في القرن الثاني عشر بعد مئتي وثلاثين سنة من التأخر.

وفي ميدان علم الكيمياء ندين للعرب. منذ أيام هارون الرشيد الذي عاصر شارلمان كان العرب يصنعون الورق من القطن متيحين بذلك نشر الثقافة على نطاق واسع. وفي الطب عمل العرب على استكمال التلقيح بالجدري البشري الذي مارسه الأطباء الهنود والإيرانيون، وذلك حوالي عام 900، على حين أنَّ الغرب ظل ينتظر حتى عام 1797 ليتخيل الطريقة مع جنير. وكذلك يدين لهم طب العيون بالشيء الكثير. أما فيما يتعلق بالصيدلة، فإنّ العرب كانوا يستخدمون عفونة البنسلين (أنواع من الفطر) مرهما لمعالجة الجروح الملتهبة. كانوا يعرفون إذن سلطة المضاد الحيوي للميكروبات العضوية. وفي مجال العلوم الإنسانية يظل "ابن خلدون" الدبلوماسي والقائد الحربي والمؤرخ وعالم الاجتماع والفيليسوف والفنان الذي عاش سنة ما بين عامي 1332 و1406 شخصية عالمية في ميدان العلوم الإنسانية؛ لأنه كان يحاول اكتشاف قوانين التطور التاريخي، حيث قدّم تصورًا علميًا للتاريخ وعلم الاجتماع، جعله من رواد المادية التاريخية. كما وضع خطوط نظرية القيمة المبنية على العمل. إنّ عالمًا بشمول "ابن خلدون" لا يمكن أن يولد في الفراغ: "إننا لنتخيل ونحن نقرأه مدى ما بلغه تطور الفكر العربي في أيامه في ميدان العلوم الاجتماعية"[10]. وكرّس الكاتب "ول ديورانت" كتابه السِّفر الضخم (شمس العرب تسطع على الغرب) للحديث عن المنجزات العلمية والثقافية الكبرى للحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها المباشر في النهضة الأوربية الحديثة. ومما قاله في شأن المكتبات العربية في سنة ألف للميلاد: "لقد نشر ابن النديم تاجر الكتب في بغداد بالأمس القريب فهرسًا للعلوم يضم -في عشرة مجلّدات- أسماء جميع

الكتب التي صدرت باللغة العربية في الفلسفة والفلك والطبيعيات والكيمياء والطب حتى ذلك الحين. وفي الأندلس تجتذب قرطبة طلاب العلم من كل أنحاء الشرق، بل والغرب أيضًا. تجذبهم بمدارسها العليا ومكتبتها العظيمة التي تضم نصف مليون من الكتب القيّمة والتي أسسها الخليفة الحكم الثاني وهو من أشهر علماء عصره. وفي القاهرة رتّب مئات العمال والفنيين في مكتبتي الخليفة مليونين ومئتين من المجلدات، وهو يعادل عشرين ضعفا مما حوته مكتبة الإسكندرية في عصرها. وقد قال جربرت فون أورياك الذي ارتقى كرسي البابوية في رومة عام 999 باسم البابا سلفستروس الثاني: "إنه لمن المعلوم أنه ليس أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بوابًا لتلك المكتبة، وأنّى لنا أن نعلّم الناس ونحن في حاجة لمن يعلمنا. إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه" [11].

استلهام الغربيين منجزات العرب المسلمين

فضل المسلمين في تكوين المعارف العلمية في أوربا كان يسير جنبًا إلى جنب مع تأثيرهم في تكوين العلوم النظرية، وتتوسع الدِّكتورة "إيناس حسين" في رصد أهم الاستلهامات الغربية من منجزات العرب المسلمين ابتداءً بالحديث عن أثرهم في الصناعة فتقول: "إنّ المسلمين هم الذين صنعوا الصابون للمرة الأولى، وكانوا يعملون منه صنفين، صنف من الصودا، وصنف آخر أبيض اللون من البوتاس، وقد ذكره ابن دريد سنة 933م. والمسلمون هم الذين أدخلوا السكر المصنوع من القصب إلى أوربا وكذلك الورق. وكذلك برع المسلمون في كثير من الصناعات القائمة على الكيمياء، فاستخرجوا الذهب بطريقة الغسل، وقطروا الزئبق من الزنجفر، واستخلصوا العطور بطريقة تقطير الورد،

وصنعوا مختلف أنواع الحبر، وأنتجوا مختلف الألوان والأصباغ، وهم أول من عرف القهوة في التاريخ. وإذا انتقلنا من الصناعة إلى الزراعة رأينا للمسلمين أبحاثًا عظيمة في هذا الميدان، وخصوصًا في الأندلس، ويتناول هذا الميدان الفلاحة ثم النباتات الطبية، ومن أشهر من ألف في هذين الميدانين: يحيى بن محمد بن العوام، وابن الخير الأشبيلي والحاج الغرناطي، وأبو جعفر الغافقي، وابن البيطار. ومن هنا نجد في اللغة الإسبانية عددًا ضخمًا من الألفاظ العربية المتعلقة بالنباتات، وكان لكتب المسلمين في الفلاحة والنباتات أثر هائل في تقدم الزراعة في أوربا. وكذلك أثَّر العرب المسلمون في الفنّ المعماري الأوربي، وبشكل منقطع النظير، ولا تزال الآثار العظيمة ماثلة في الأندلس، بل وفي سائر إسبانيا وجنوبي فرنسا تشهد بما بلغه الفنّ الإسلامي في العمارة من مكانة سامية في أوربا. ولقد بقي المسلمون هم كبار المعماريين حتى بعد سقوط دولتهم في إسبانيا. وانتقل تأثير الفنّ إلى إيطاليا، فتأثر به فنانو مدرسة توسكانيا، في فلورنسا وبيزا وسيينا ولوكا، ومنذ القرن الثاني عشر ونحن نجد في إيطاليا، وخصوصًا إقليم توسكانيا، صحائف النحاس المشغولة في الموصل، وصناديق العاج العربية والسجاجيد العجمية، والمخطوطات المزينة بالمصفرات، والنحاس الدمشقي، الزجاج والأواني الدمشقية. وانتشرت الأقمشة الإسلامية انتشارًا واسعًا في إيطاليا ثم انتقلت إلى أوربا. والمسلمون كذلك هم الذين أدخلوا إلى أوربا كثيرًا من الألعاب كالشطرنج، ولعبة البولو التي هي أصل لعبة كرة القدم [12].

تأثير الفنون الإسلامية في النهضة الأوربية

أثرت الفنون الإسلامية تأثيرًا واضحًا في فنون النهضة الأوربية في مجالات عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

التحف الفنية

"انتقلت التحف الإسلامية وتقليد الفنون والصناعات الإسلامية إلى أوربا على يد الحجاج الأوربيين الذين كانوا يسافرون للحج إلى البيت المقدس، ولاتزال بعض الكنائس الأوربية تحتفظ بتحف إسلامية من المعدن والبلور الصخري والزجاج والعاج، وتنظر إليها باعتبارها تراثًا مسيحيًا مقدسًا" [13].

> لقد اهتم كثير من الملوك والأمراء في أوربا بالفنون الإسلامية

اهتمام الملوك والأمراء في أوربا بالفنون الإسلامية

لقد اهتم كثير من الملوك والأمراء في أوربا بالفنون الإسلامية، ومنهم الإمبراطور فريدريك الثاني حفيد روجر الثاني الذي أولى اهتمامه بالثقافة العربية حينما تولى حكم مملكة صقلية، وبفضل الثقافة العربية صارت صقلية في عهده القطر الوحيد في إيطاليا، بل في أوربا كلها، الذي وجدت فيه

مبادئ إحياء التراث الكلاسيكي ونزعته وأساليب البحث العلمي الحديث، وقد صارت هذه المبادئ فيما بعد من الدعائم الأساسية في النهضة الأوربية" [144].

وكذلك كانت الثقافة الأندلسية العربية مركز إشعاع حضاري وثقافي وفني في أوربا.

تأثير العرب في الفنون والعمارة

" كان للعرب تأثير مهم في أجزاء كثيرة من أوربا لم يحتلوها، فنرى الفنّ والعمارة مطبقة في المباني والكنائس المسيحية على شكل تزيينات، هذا بالإضافة إلى أنّ أكثر الأبنية أنشأها معماريون عرب، وأهمها ما كان في كاتالونيا، حيث نرى المحاريب والأقواس من الحديد، وحيث الأطناف محمولة على عوارض، والنحت المطرز في تاج الأعمدة والفسيفساء التي تعلو قمريات الأبواب. وإن كان تأثير العرب واضحًا في البلاد التي لم يدخلوها، فإنّ الأمر يبدو أكثر وضوحًا في البلاد التي سيطروا عليها مثل إسبانيا وإيطاليا، أما بخصوص إسبانيا التي حكمها العرب ما يقرب من ثمانية قرون، فقد حفلت بتأثيرات لا يمكن إغفالها في اللغة والعادات والفنّ. وما زالت الآثار شاهدة هنالك على عظمة الحضارة العربية الأندلسية التي وصلت إلى حد الإعجاز، وخصوصًا في بناء جامع قرطبة وقصر إشبيليا وقصر الحمراء في غرناطة.

ولم تكن أبراج الكنائس في طليطلة إلاّ نسخًا عن المآذن، أما العمارات التي بناها المسيحيون في المناطق المستقلة في أثناء الحكم الإسلامي، فقد كانت عربية أكثر منها مسيحية، وذلك مثل "قصر سيقونيا" الذي يشابه قصر طليطلة، والواقع أنّ أكثر المدن الإسبانية اليوم، وخصوصًا إشبيلية، مازالت المنازل فيها تبنى وفق الأسلوب العربي مع فارق بسيط هو أنّ زخارفها أقل، وكذلك

كانت صقلية محكومة منذ عام 827م حتى 1091م من قبل العرب، وكان تأثير العرب خلال هذه الفترة واضحًا فليس لصقلية أن تنسى ماقام به "الأمير الحسن علي الكلبي"، فلقد ذكر ابن حوقل "أن باليرمو العاصمة كانت تحتوي في زمن الحسن ثلاثمائة مسجد وثلاثمائة مدرسة، ومع أنّ النورمانديين حلوا محل العرب بعد عام 1091 فإنّ الحضارة العربية بقيت هي السائدة. لقد أوحى الصناع المسلمون إلى صنّاع الغرب طريقة جديدة في زخرفة جلود الكتب، وذلك من خلال التذهيب المثبت تثبيتًا قويًا بضغط الآلات المحملة على صفائح الذهب.[15].

أثر الخط العربي في الفنون الأوربية

استرعى الخط العربي انتباه الفنانين الأوربيين الذين وجدوا في الحروف العربية كثيرًا من الصفات الزخرفية والشكلية والجمالية، ما جعلهم يقبلون على استخدام الخط العربي في زخرفة تحفهم ومبانيهم وآثارهم المختلفة، وقد بلغ من إعجاب الأوربيين بالكتابة العربية أنهم نقلوا بعض العبارات في كثير من الأحيان نقلًا صادقًا من دون أن يعرفوا ما تحمله تلك العبارات من المعاني. وقد شاعت الزخرفية بالخط العربي على المنسوجات الحريرية التي صنعت في أوربا، والتي كانت تستخدم لحفظ مخلفات القديسين. ونتيجة لازدهار التجارة بين العالم العربي وأوربا أقبلت المدن الإيطالية على استخدام الكتابة العربية على عملاتها، فقد سك أهل البندقية عملات ذهبية تقليدًا للعملة العربية اشتملت على آيات قرآنية وعبارات دعائية. وظهرت الزخرفة بالحروف والكتابة العربية في منحوتات وروسومات عشرات الفنانين الإيطاليين[16].

فنون القتال والتقاليد العربية

استفاد الأوربيون من العرب المسلمين في مرحلة الحروب الصليبية فنون القتال وطرائقه وأساليبه وأدواته وتقاليده، حيث استفادوا "من استخدام طريقة التلغيم وحفر الخنادق واستخدام بعض الوسائد والثياب القطنية الواقعة تحت الزرد، وكذلك استخدام الدرع لحماية الفارس وجواده، واستخدام الكوفية لوقاية رأسه وعنقه من حرارة الشمس واستخدام الحمام الزاجل لنقل البريد، ومناورات الكر والفر والطعن والضرب، وأيضًا استفاد الأوربيون من بعض التقاليد الحربية الإسلامية، ومنها كثرة استخدام البيارق والرايات الحربية التي تشتمل على صورة منقولة عن الشرق مثل النسر ذي الرأسين، وزهرة الزنبق والمفتاحين أو عصا البولو، وكذلك استعمال الرنوك، وانتشارها وكذلك الدروع والشارات، وكذلك إقامة احتفالات بمناسبة الانتصارات العسكرية عن طريق التنويرات ونشر السجاجيد الملونة على الجدران والنوافذ كما كان يعمل العرب المنتصرون[17] ونكتفي بهذا القدر من جوانب تأثيرات الثقافة العربية في الحضارة الأوربية، ورأينا آثارها الكبيرة والعميقة والطويلة المدى في كل ما يتصل بالصناعة والزراعة والبناء والفنون والعلوم ومظاهر الحياة اليومية. وما يهمنا في وقتنا الرّاهن هو أن ننجح في توظيف هذه التأثيرات الكبرى والمثاقفة المتواصلة في حوارنا الثقافي الذي ينبغي أن يكون متواصلًا وفعالًا مع العالم العربي خدمةً لمصالحنا المشتركة ونبذًا للعنف والتطرف وصنعًا للتنمية والتطور والسلام.

الهوامش والمراجع:

1. محجوب بن ميلاد، مكانة توفيق الحكيم في الأدب العربي الحديث، مجلة المباحث، عدد سبتمبر 1944، ص12.
2. بدر الدين الهمادي، العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب، مؤسسة سعيدان، تونس 1996، ص11.
3. أحمد رضا بك، الغرب والشرق، مطبعة النهضة، تونس، ص135.
4. زكريا هاشم زكريا، فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، دار النهضة مصر للطبع، القاهرة 1970، ص233.
5. روجيه غارودي، من أجل حوار بين الحضارات، ترجمة ذوقان قرقوط، دار النفائس، بيروت 1999م، ص84.
6. المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.
7. المرجع السابق نفسه، ص87.
8. عبقرية الحضارة العربية: ينبوع النهضة، طبعة فايدن، أكسفورد 1976، ص32.
9. روجيه غارودي، من أجل حوار بين الحضارات، مرجع سابق، ص88.
10. المرجع السابق نفسه، الصفحات 88، 89، 90، 91، باختصار.
11. ول ديو رانت، شمس العرب تستطع على الغرب، القسم الثاني، ص354.
12. الدكتورة إيناس حسين، التلامس الحضاري الإسلامي الأوربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 366، أغسطس 2009، ص48 49.
13. حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثالث، القاهرة 1999، ص55.
14. – المرجع السابق نفسه، ص56.
15. – المرجع الثاني عشر، ص56 60 باختصار.
16. – المصدر السابق نفسه، ص64.
17. – المرجع الثالث عشر، ص57.

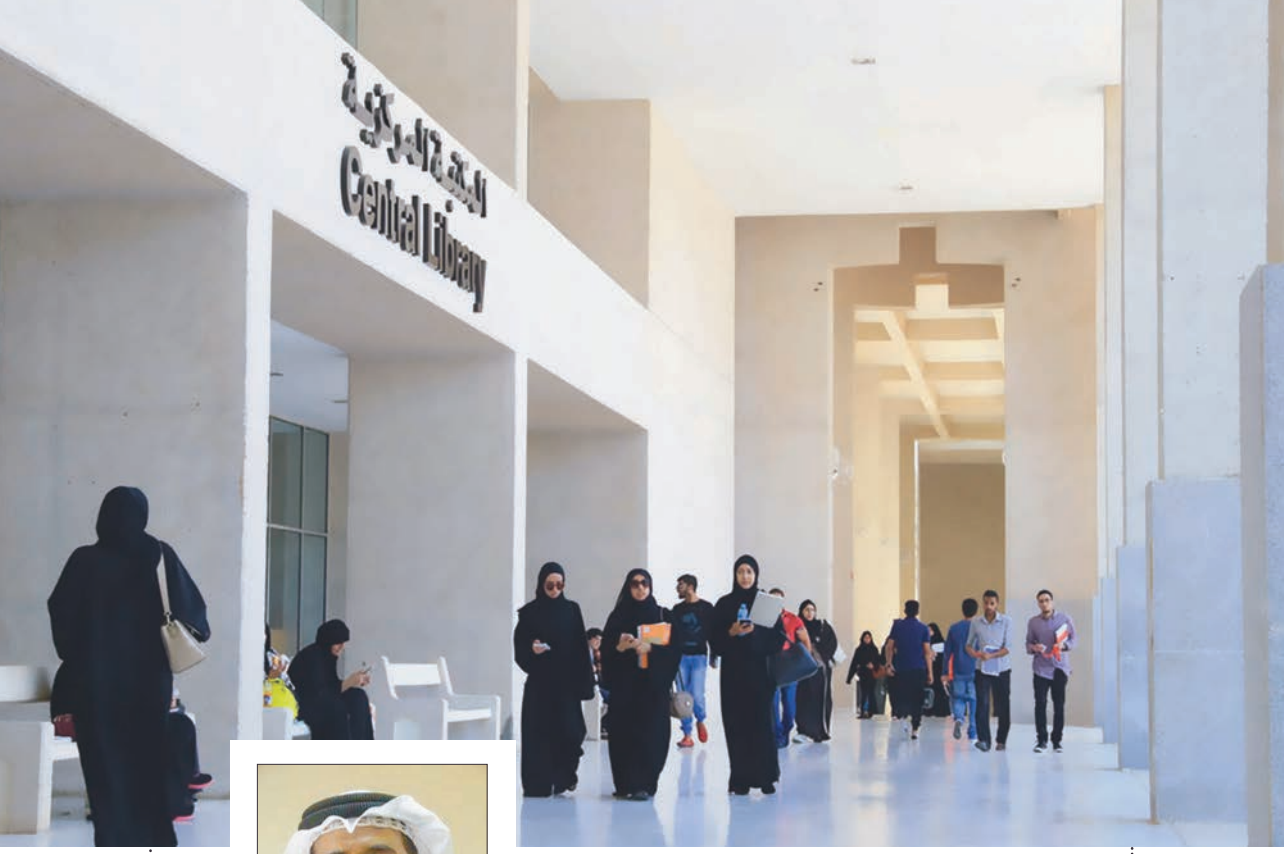

د. فهد حسين
البحرين

المرأة الخليجية والكتابة النقدية

أسهمت دول منطقة الخليج العربية وجامعاتها الوطنية من خلال البعثات التعليمية التي أرسلتها إلى الدول العربية، والغربية، من أجل الدراسة، والحصول على المستوى الأكاديمي الذي يؤهل المرأة لتتبوأ المناصب التعليمية، والأكاديمية، والإدارية والمهنية المرتبطة بالتكنوقراط، فضلاً عن تعزيز مكانة المرأة وقدراتها البحثية والأكاديمية، بالإضافة إلى تنمية مواهبها المختلفة لتخرج إلى المجتمع وقد تأسست من خلال قاعدة من الخبرات، وتغذت بالمعارف، واكتسبت المهارات، وآمنت علميًا ببعض الاتجاهات التي كانت ولا تزال تساعدها في تدبير شؤونها الحياتية اليومية، والعملية، والأسرية، لذا نرى المرأة الخليجية تبوأت -بحكم هذه القدرات- مناصب مختلفة، ومواقع متعددة في العمل الحكومي، والأهلي، ومارست دورها كمبدعة في مجالات عدة، ومتنوعة.

وإذا تأخر النقد في منطقة الخليج العربي لأسباب فنية، فهذا ينطبق عامة على النقد الذي كانت تكتبه المرأة العربية، ولكن ما طرأ في العقود الثلاثة الأخيرة، بدءًا من ثمانينيات القرن العشرين، وحتى اليوم، فإننا نرى بين الحين والآخر، ونقرأ على صفحات الجرائد والدوريات الأدبية والثقافية بعض القراءات النقدية لعدد من الكاتبات الخليجيات، وبخاصة في عقد التسعينيات من القرن الماضي، وما تلاه، بل تكللت هذه الكتابات النقدية ببعض الإصدارات في مجالات متعددة، وما أفرحنا كثيرًا أن بعض هذه الكتابات لم تعد مستندة إلى مناهج النقد القديم، وإنما اتجهت إلى التعامل النقدي مع النصوص وفق مناهج نقدية حديثة، ومواكبة لتطور الحراك النقدي في المجالين الأدبي والثقافي، ولا غَرْوَ أن للأساتذة بالجامعات دورًا مهمًّا وأساسًا؛ لأنهم فرشوا لهن قاعدة نقدية معرفية.

وفي إطار المحاولات والتجريب برزت المرأة الخليجية بوصفها ناقدة في الكتابات النقدية الأدبية والثقافية، وبدأت مساهماتها تأخذ دورًا في المشهد الثقافي والأدبي الإقليمي والعربي إلى حدٍّ ما، وذلك لأسباب عدة، نراها تتمحور في وجود مادة إبداعية شعرية، وسردية، وثقافية تغري الباحثات بالعمل على تحليلها وتفسيرها، والدعم الأكاديمي والمعنوي من قبل أساتذة الجامعات الذين كان تركيزهم منصبًّا على دراسة الأدب المحلي، وإبرازه خارج الحدود الجغرافية، لذلك ظهرت أسماء من الناقدات تخرّجن من كليات الآداب والعلوم الإنسانية، مثل: نورية الرومي، ونجمة إدريس من دولة الكويت، ومنيرة الفاضل، وضياء الكعبي التي اتجهت في كثير من كتاباتها النقدية إلى النقد الثقافي، وإن كانت بعض مادتها التي تشتغل عليها خارجة من بوابة الأدب، بالإضافة إلى سوسن كريمي، وأنيسة السعدون، وانتصار البناء، وصفاء العلوي من مملكة البحرين، وسعيدة بنت خاطر الفارسي، رفيعة الطالعي، وعائشة الدرمكي، وابتسام الحجري، ومنى السليمي من سلطنة عمان، وفاطمة الياس، نورة محمد، أميرة كشغري، لمياء باغشن، وأميرة علي الزهراني، وأحلام حادي، ونورة القحطاني، سماهر الضامن، وغيرهن كثير من السعودية، ونورة فرج من قطر، وفاطمة خليفة، وزينب الياسي، فاطمة البريكي من الإمارات، ومن المؤكد أن هناك عديدًا من الكتابات النقدية الخليجية النسوية وإن لم يأت ذكرها هنا.

وإذا كان هدف بعض الكاتبات في النقد هو الحصول على الشهادة الأكاديمية بغية التدريس الجامعي، فإن بعضا آخر واصل عطاءه النقدي، والحضور الثقافي في الإعلام المقروء، والمرئي والمسموع، والمشاركة الفاعلة في المحافل الثقافية والأدبية والنقدية من مؤتمرات، ومنتديات، وملتقيات العربية وأجنبية، والشيء الجميل في النقد الخليجي النسوي، التنوع في التعاطي مع النصوص المدروسة، ومع المناهج التي تطبق تحليلا، وتفسيرًا، وتفكيكًا على هذه النصوص، إذ هناك من الناقدات من اتجه في كثير من

دراساته وأبحاثه على النصّ الشعري، كنورية الرومي التي لها الخبرة البحثية والأكاديمية في الشعر العربي حديثه وقديمه[1]، تناولت من خلالها التجارب الشعرية وفق تيار الشعر التقليدي، سواء في غرض المدح أو الغزل، ووفق تيار التطور من خلال العودة إلى الذات والبعد العاطفي، والوجداني وأثر التجربة العربية في المنطقة التي انتقلت بها إلى الاتجاه الواقعي، وعملية الالتزام، كما أسهمت سعيدة بنت خاطر الفارسي من عمان ببعض الأبحاث التي تناولت فيها مسألة الاغتراب في شعر المرأة الخليجية، واقفة على الاغتراب التاريخي، وما يمثله من رفض للحاضر، والاغتراب الميتافيزيقي، وما يشكله من رفض فيما هو موجود في الزمان والمكان والآخر سياسيًا واجتماعيًا ووجوديًا ونفسيًا[2].

> كانت الأعمال الإبداعية محفزة للدراسة، والنقد لدى النقاد رجالا، ونساء من حيث الأشكال

أما في القصة فقد كتبت نجمة إدريس كتابًا تحدثت فيه عن القصة الكويتية موزعة الكتاب على قسمين، أخذ القسم الأول مختارات من الأعمال الكويتية السردية لتقف عند جدلية الماضي والحاضر، ودور كل من المجتمع والمرأة في العمل الإبداعي السردي، بالإضافة إلى ظاهرة الاغتراب ومحنة الكويت أثناء الغزو العراقي عليها، معتمدة على بعض النصوص التي كتبها كل من الرجل المرأة، داعية جميع القراء والمتابعين إلى الانتباه والتأمل في التجارب الكويتية الإبداعية من خلال القسم الثاني الذي ضم عددًا من الأعمال السردية القصصية[3]، وشاركتها في ذلك أميرة علي الزهراني التي أصدرت دراسة نقدية عن تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية بعنوان "الذات في مواجهة العالم"، وتناولت الدراسة النقدية الاغتراب من زوايا مختلفة منها: الذاتي، والاجتماعي، والثقافي، والمكاني، ليدور موضوعها في معالجة اغتراب المواطن بسبب الأوضاع والواقع المعيشي السلبي[4].

وفي نقد الرواية أصدرت فاطمة خليفة أحمد كتابًا تحدثت فيه عن نشأة الرواية الإماراتية منطلقة من السؤال الجوهري القائل: هل ثمة رواية إماراتية، دارسة العوامل والأسباب التي أسهمت في هذه النشأة، مثل: التأثيرات العربية، وغير العربية، وحداثة المجتمع الإماراتي ثقافيًا، واقتصاديًا، وسياسيًا، وأثر ذلك على الرواية، بالإضافة إلى تلك الأنواع النثرية كالقصص الشفاهي والحكايات والمورثات الشعبية التي أسهمت بصورة غير مباشرة في نسيج العمل الروائي، كما تناولت القضايا التي اهتمت بها الرواية الإماراتية منتهية بالملامح الفنية من رومانسية وواقعية[5]، وأصدرت رفيعة الطالعي كتابًا نقديًا حول النص الروائي النسوي في الخليج تناول فيه تقنيات النسق السردي التقليدية والحداثية - بحسب

تعبيرها، وتطبيقات على بعض الروايات، حيث كان سعيها متمثلاً في دراسة مكونات الخطاب الروائي النسوي في الخليج وتقنياته، بهدف الكشف عن مجموعة من القضايا والتحولات المرتبطة بالمرأة والمجتمع[6].

أما نورة سعيد القحطاني فأصدرت كتابًا حول الرجل في الرواية النسائية السعودية، مركزة على الصورة والدلالة، متوقفة حول مدى ما تمثله هذه الكتابة، والتجربة من انعطافة في تجربة المبدعة الخليجية في المجال الأدبي بعدما كان الشعر، وكتابة القصة والخاطرة، والمقال الصحفي هي المجالات الأغلب لديها، واصفة تتبع مسيرة الرواية النسوية السعودية من التقليد في الكتابة حتى محاولاتها في توظيف الرمز والتجريب، منتهية إلى أن الأوضاع الاجتماعية، والثقافية في المجتمع السعودي لها دور بارز في الرواية النسوية التي نظرت إلى الرجل وفق هذه الأوضاع والمورثات، ولهذا كان الخطاب الروائي كأنه وثيقة دفاع عن ذاتها ومكانتها ودورها في المجتمع تجاه الرجل[7]، كما كتبت سماهر الضامن كتابًا بعنوان نساء بلا أمهات، الذوات الأنثوية في الرواية النسائية السعودية، وهو كتاب في الأصل كان رسالة ماجستير، إذ تناولت من خلاله الذات الأنثوية في المفهوم، والوعي، كما تناولت تلك الشروط التي تجعل من ذلك الوعي كتابة، وثقافة، ونقدًا، وفق مسيرة العمل الروائي النسوي، وتحولاته.

وأصدرت هدى النعيمي كتابًا تناولت فيه بالقراءة التحليلية بعض التجارب القطرية، والعربية في الشعر، والسرد من دون الاعتماد على منهج نقدي محدد، أو وفق دراسة أكاديمية[8]. بالإضافة إلى موزة الملكي[9] التي أصدرت ترجمت كتابًا بعنوان السرد القصصي والعلاج النفسي، لتؤكد دور القصص والحكايات، ونقلها إلى المستمع أو القارئ، وأهمية ذلك في العلاجات النفسية الذي تعطي نتائج إيجابية في إطار البناء الاجتماعي للفرد والمجتمع، ويأتي كتاب سرديات[10] لأسماء الكتبي طارحًا بقراءتها عملا نقديًا لمجموعة من الأعمال الخليجية والعربية والعالمية، وهو كتاب ظهر نتيجة ذلك الاهتمام بالقراءة للرواية، ومن خلال (ندوة الكتاب) التي تنظمها الشيخة شما بنت محمد بن خالد في قصرها بالعين.

كما كانت الأعمال الإبداعية محفزة للدراسة، والنقد لدى النقاد رجالا، ونساء من حيث الأشكال، والمضامين، والتقنيات، فإن اللغة في الكتابة الإبداعية لم تغب عن النقد الخليجي النسوي، إذ عمدت أحلام حادي إلى دراسة القصة القصيرة السعودية وقف جماليات اللغة، وضمن تيار الوعي، إذ اتجهت في دراستها نحو استنطاق الجمل اللغوية في القصة القصيرة الدال على تيار الوعي نص الكاتب، على الرغم من صعوبة الموضوع الذي أكدته بنفسها في مدخل دراستها بالقول: "وهو طبيعة الموضوع الشائكة الملغومة بالشراك المعرفية"[11]، كما تناولت نورة فرج اتجاها آخر في المشهد النقدي، وهو المرتبط بالنقد الثقافي، ولكن ضمن سياق النص الأدبي، إذ أصدرت كتابًا بعنوان ارتباكات الهوية، أسئلة الهوية والاستشراق في الورية العربية

الفرنكفونية، ومدى انتماء الأعمال التي كتبت باللغة الفرنسية وعلاقتها بأي هوية، أهي عربية أو فرنسية، مثل: كتابات أمين معلوف، أو الطاهر بن جلون، أو حتى رواية أحمد ابو دهمان الحزام.

وفي الإطار نفسه تأتي ضياء الكعبي التي أوكلت نفسها إلى العمل على تفكيك بنى المجتمع أدبيًا وثقافيًا ضمن علاقته بالمرأة والعمل الإبداعي، بل دخلت في مناطق متعددة ضمن مجال تخصصها النقدي، حيث كتبت عديدًا من الأبحاث التي قدمتها في المؤتمرات، والملتقيات العربية تناقش فيها هذا المنحى دور المرأة ثقافيًا، وأهمية العلاقة بين المرء وتراثه الثقافي والشعبي، كما تناولت مواد أخرى خارج نطاق الجغرافية المحلية للمنطقة، فاتجهت نحو النبش في التراث العربي من جهة، وذلك في كتابها السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، وفي كتابات المؤلفين المعاصرين العرب من جهة أخرى، فكان اشتغالها على الأنساق الثقافية في الكتابات السردية العربية القديمة والحديثة، بما في ذلك صورة المرأة، والخطاب السجالي، والهويات، إذ استطاعت في فترة زمنية قصيرة أن تحقق إنجازًا مهمًّا في الثقافة البحرينية والخليجية في مجال الدراسات البحثية والعمل الأكاديمي، من خلال تلك البحوث والدراسات المقدمة في المحافل الأدبية والنقدية والثقافية.

> المنجز النقدي النسوي في المنطقة رافد من الروافد المهمة في المشهد الثقافي الخليجي

ومن هنا لا بدَّ من النظر إلى المنجز النقدي النسوي في المنطقة على أنه من الروافد المهمة في المشهد الثقافي الخليجي، لذلك ينبغي التواصل معه في أبعاده المختلفة، وفي تناوله للنصوص المكتوبة أو الشفاهية، أو المادية، وإن كانت التجربة النقدية في المنطقة قليلة قياسًا بما هو في العالم العربي، سواء على صعيد النقد الذي يكتبه الرجل، أو الذي تكتبه المرأة، ولكن لكي نصل إلى ما وصل إليه النقد العربي فإننا نحتاج إلى وقت، وعدد، ودعم، وطاقات، ونتاج يستحق الدراسة البحثية، أو الأكاديمية، وأن تلتفت المؤسسة الرسمية والمؤسسة الأهلية إلى الكتاب والمبدعين لمساعدتهم والوقوف بجانبهم دعمًا ماليًا ومعنويًا، وأن تخطط المؤسسات الحكومية المسؤولة عن الثقافة لوضع برنامج زمني يتضمن تفرغ بعض المبدعين والكُتّاب والنُقّاد لكي يقدموا أبحاثهم ودراساتهم، وأننا بحاجة إلى قراءة نقدية من قبل الناقدات أنفسهن تجاه نقدهن، بطرح الأسئلة عليها، كأن يكون السؤال حول العلاقة النصية في الكتابة الإبداعية، ومدى الاتساق، بينما هو ضمن سياقات الثقافة الشعبوية، والثقافة النخبوية، وأهمية اللغة، وتوظيفها في النص المكتوب أو المسموع، وآليات توظيف قضايا المرأة في العمل الإبداعي، وهل نصل بالنص الأدبي إلى نص ثقافي، والنص الثقافي يأخذ منحى النص الأدبي؟

الهوامش والمراجع:

1. – أصدرت نورية صالح الرومي، مرجع سابق.
2. – سعيدة بنت خاطر الفارسي، الاغتراب في الشعر النسوي الخليجي، 2002؛ سوسنة المنافي – حمدة خميس وتحولات الاغتراب السياسي، 2003؛ انتحار الأوتاد في اغتراب سعدية مفرح، 2005.
3. – نجمة إدريس، الأجنحة والشمس – دراسة تحليلية في القصة مع مختارات قصصية، 1998.
4. – أميرة علي الزهراني، الذات في مواجهة العالم – تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية، 2007.
5. – فاطمة خليفة أحمد، نشأة الرواية وتطورها في دولة الإمارات العربية والمتحدة، 2003.
6. – رفيعة الطالعي، الحب والجسد والحرية في النص الروائي النسوي في الخليج، 2005.
7. – نورة سعيد القحطاني، الرجل في صورة الرواية النسائية السعودية – الصورة والدلالة، 2009.
8. – هدى النعيمي، عين ترى – قراءات في الشعر والسرد والمسرح، 2002.
9. – جون مكللاوي، السرد القصصي والعلاج النفسي، تر: موزة المالكي.
10. – أسماء الكتبي، سرديات، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2008.
11. – أحلام حادي، جماليات اللغة في القصة القصيرة، ص25.

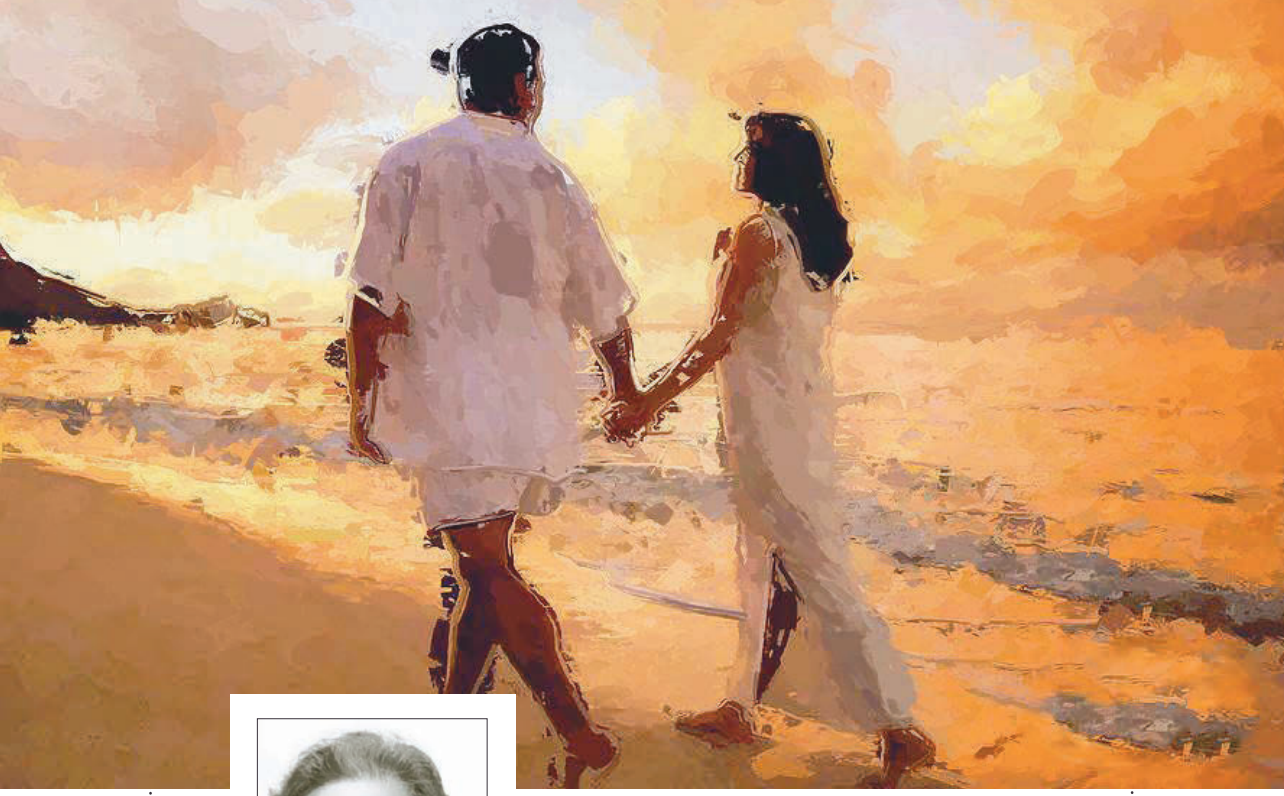

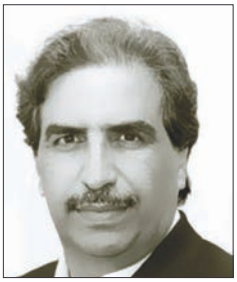

ترجمة: عبدالقادر عقيل

مرآة في المرآة

قصة الكاتب الهندي: مادو راي

(راما) تنظرُ إلى (أتول)، وتعتقدُ بأنّ (أتول) لا ينظرُ إليها. (راما) تعتقدُ بأنّ (أتول) لا ينظرُ إليها، لا ينظرُ إليها.
لكن (أتول) ينظرُ إلى (راما). عيناه مثبتتان عليها. هو يرى (راما) الجالسة أمامه، تاركةً (ساريها) يتهاوى على الأرضية المزخرفة. انعكاسٌ من ضجر (أتول) ينحصر في لمعانها. (راما) تنظرُ إلى (أتول)، وتنظرُ إلى (أتول)، لكن (أتول) لا ينظرُ إلى (راما). (راما) تعرف أن (أتول) لا ينظرُ إليها.

(راما) تفكرُ: إنّ الشعاع الأحمرَ الخافت يملأ عينَي (أتول)، ويجعلهما تبدوان كالبنفسج.

(راما) تفكرُ: عندما يضحكُ (أتول) فإن شفتيه تتمغطان، مثل رباط مطاطي، وعندما يتحدثُ (أتول) فإن أسنانه تتبقعُ بلون شفتيه.

(راما) تفكرُ: أنا لا أنظرُ إلى (أتول)، أنا أنظرُ إلى أسنانه.

(راما) تفكرُ: هي قد تطيلُ النظرَ إلى أسنانه إن لم ينظر (أتول) إليها. قد تطيل النظرَ إلى أسنانه.

لكن الأمر ليس بهذه الصورة: أن (أتول) لا ينظرُ إليها، و(أتول) يعرفُ أن (راما) تعتقدُ بأن (أتول) لا ينظرُ إليها.

في الحقيقة، (أتول) ينظرُ إلى (راما). ينظرُ إلى (راما). ينظرُ إلى (راما). ينظرُ إلى (راما).

مثبتاً عينيه، ينظرُ (أتول) إلى النقطة الصغيرة في بؤبؤ عين (راما) اليسرى.

يصابُ (أتول) بالدهشة: إذا ثبّتَ المرءُ عينيه، ونظرَ إلى النقطة الصغيرة في بؤبؤ عين أي إنسان، فلا يعني بالضرورة النظر إلى ذلك الإنسان. إذن أيّ قوة على الأرض تجبرني على النظر إلى ذلك الإنسان؟

هناك مرآة كبيرة بالقرب من (أتول) و(راما). هناك خزانة ملابس مصنوعة من خشب الساج المصقول، ومنقوش عليها الزهور وأوراق الأشجار. هناك ملابس صوفية في خزانة الملابس، في طياتها كثير من كرات "النفثالين".

(أتول) ينظرُ في المرآة التي على خزانة الملابس نفسها، والتي قوائمها غير مستوية، وتحمل علامة شركة بلجيكية في الزاوية العليا.

في المرآة يظهر بوضوح انعكاس (أتول) و(راما)، وهما ينظران بعضهما إلى بعض. فجأة تهتزّ صورتاهما وتتلاشيان.

إن اللذين ينظر أحدهما إلى الآخر هما: (أتول) و(راما)، و(راما) و(أتول)، وصورتاهما في المرآة، الزوجان خارج المرآة. والزوجان داخل المرآة.

مع ذلك لا أحد يعرف بأن كليهما لا ينظر إلى الآخر، لأن كليهما لا ينظر أحدهما إلى الآخر، وهذا يعني أن: لا (أتول) ولا (راما)، ولا (راما) ولا (أتول)، ولا (راما)–(أتول)، ولا السيد والسيدة أتول دوشي، ولا عائلة دوشي، ولا الزوجين دوشي، ولا (أتول) وزوجة (أتول)، ولا (راما) وزوج (راما)، ولا أتول جامنداس دوشي وزوجته، ولا السيد وسيدته، ولا الزوج وزوجته، ولا والد نيكي ووالدته، ولا ابن جامنداس غليداس دوشي وكنته، ولا (راما) ابنة جيفانلال مهتا وصهره، ولا ابنة جيفاكار جيفانلال مهتا وصهرها، ولا ابن بارميلا جامنلال دوشي وكنتها، ينظر أحدهما إلى الآخر.

أحدهما يشعرُ بأن الآخر لا ينظُر إليه، بينما الآخر يواصل دهشته بأن النظر إلى النقطة الصغيرة في بؤبؤ العين اليسرى لأي إنسان لا يعني النظر إلى ذلك الإنسان. إذن أيّ قوة على الأرض؟

خلف خزانة الملابس جدارٌ مطلي باللون الأصفر. الجدار يقودنا إلى بابٍ نظيفٍ لامع.

في الباب المقفول مقبضٌ يلمع. إذا عدنا

إلى الجدار فإنه سيقودنا إلى النوافذ المعلق بها ستائر خضراء غامقة كلون ريش الطاووس.

من أعلى نرى نافذة مروحية مائلة ملوّنة مثل كنيسةٍ دنماركية، من خلالها تمدّ السماء والشمس عيونها الملوّنة لترى (راما) و(أتول)، أو (راما) و(أتول)، أو لاما وأتور، أو ماتول، أو تومال، أو لوتوم، أو رامال، أو لامار، أو ايرا، أو لاتا، أو رالا، أو أمار، أو آمال، أو (أتول)، أو (راما)، وهما ينظر أحدهما إلى الآخر.

في يد (راما) اليمنى خاتم ألماس.

في يد (أتول) اليسرى ساعة ذات سبعة عشر حجراً.

يد (راما) تنظر إلى يد (أتول).

ساعة اليد في معصم (أتول) تنظرُ إلى خاتم الألماس. وانعكاساتهما التي تلمع بوضوح في الأرضية تنظر إليهما. المرآة تنظر إليهما.

بالقرب من الأريكة المكسوّة باللون البنفسجي، ثمة ثلاث وسائد ناعمة لها ألوان قوس قزح. الستائر الرصاصية المعلقة بالقرب من السرير المنفصل في حجرة النوم، تحركها النسمات خارجاً، تحتكّ بالجدار، فتجلجلُ كل الأجراس النحاسية الصغيرة المعقودة بالستائر، والزهور المنسحقة فيها تفوح منها فجأة رائحة زكية، وفي بريق الأجراس يطفو انعكاس (أتول) و(راما) وهما ينظر أحدهما إلى الآخر، انعكاساتٌ لا حصر لها بدأت تتأرجح في الأجراس، التي لا حصر لها.

ذات يوم أحد، أرسلا ابنتهما إلى عمتها وأقفلا الباب. تجاهلا الأريكة والسرير. جلست عائلة دوشي على الأرض بالقرب من المرآة.

الشمس تنظرُ إليهما من خلال الزجاج الملوّن. انعكاسهما في المرآة. ظلاهما على الأرض، وجهاهما اللامعان في الأجراس النحاسية، كلها تنظر إلى الزوجين.

(أتول) ينظرُ إلى (راما)، و(راما) تنظرُ إلى (أتول)، و(راما) تعتقد أن (أتول) لا ينظر إليها. (أتول) يعتقد بأنه ينظر إلى (راما). ينظر إلى (راما). ينظر إلى (راما).

من الأرضية المزخرفة، من أعماق الزجاج البلجيكي، من الأجراس المعدنية المتقوّسة، من لمعان خشب الساج، من البريق على الباب، من الوميض على مقبض الباب، من الزجاج على النافذة المروحية، من دقات ساعة اليد: تظهر صورٌ كثيرة لـ(راما) وهي تنظرُ إلى الصور الكثيرة لـ(أتول). كلهم ينظرون إلى النقط الصغيرة في بؤبؤ كل العيون التي لا حصر لها.

صورة (أتول) تختبئ في بؤبؤ عين (راما) اليسرى، والعين اليمنى أيضاً، انعكاس صورتي (أتول) في عينيها ينظر إلى (أتول). الانعكاس في عيني (أتول) ينظر إلى عيون كل تلك الانعكاسات، وتعتريها الدهشة لكونها محاصرة بقطع من الزجاج في حجرة استقبال مليئة بالانعكاسات، وموشومة بصور (أتول) التي لا حصر لها، وانعكاسات صور (راما) التي لا حصر لها.

في صباح يوم من أيام الآحاد سوف تجلس عائلة دوشي على الأرض فجأة. المرآة في المرآة في المرآة في المرآة في المرآة في المرآة في...

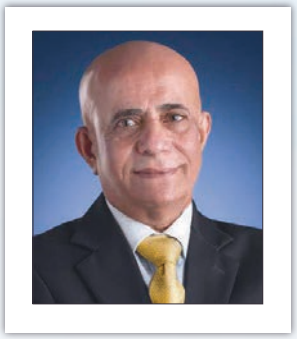

أ. عبد الحميد القائد

كتاب العشق

(1)

مَا للعِشقِ خَطوهُ وئِيد
يَجيءُ حَالماً كَنجمةٍ
مُزركشاً مُصَافِحاً
وَيختفي من دربهِ
يتركهُ وحِيداً

(2)

ابتسمت لهُ موناليزا أخيرًا
كَانَ يُدقّقُ في لوحَتها مُنذُ سَنَوات
الليلة فقط نظرت إليهِ
انفَرجتْ شَفتَاها وغَابتْ

(3)

لماذا انتِ جميلة هكذا
يمرُّ الغيمُ على وجهكِ ويَسجد
تطوفُ الفراشةُ عند عينيكِ وتَسكر
من أطلقكِ بهذا البهاءِ المَجنون
لتُضيئي صَباحي

(4)

حَطَّتْ على كَتفي نَورسةٌ
والبحرُ يُحمّمني بالدعاءْ
صارتْ جَبهتي زَرقاءْ

عيوني فيروزيةً

أصبحَ وجهي يُشبه الماءْ

كمطرٍ في رئةِ السماءْ

ومن بعيدٍ شممتُ رائحةَ القهوةِ

سكرتُ دونَ خمرٍ

حين أقبلتْ فَارسةُ القهوةِ

من غيومِ الغربةِ

وقبَّلتني قبلةً لم تنَتهِ منذُ أمسْ

(5)

ويسألونكَ عن العِشقِ

قلْ فيهِ تيهٌ وانشطارُ قلبٍ عَظيم

فلا تسأل عنهُ إلا إذا سقطَ عليكَ من السقف

وإذا سقطَ ولم تصب بأذى

فارحل معهُ واترك زادكَ على الشاطئ

واركب مع معشوقتكَ الجَندول

وحذارِ أن يبتلعكما على حينِ غرةٍ

فهو عَدو الحَنين

(6)

كانَ يبعثرُ أشعارهُ في مَقاهي المَدينةِ

فربما تَصطاد امرأةً ظامئةً لعشقٍ مَجنونْ

الفَناجينُ سَئمت من استغراقهِ في التَرَّقبِ

فَقررت أن تحتسي القهوةً بدلًا منه

أما هو فانتظر بدهشةِ الدهرِ

ولم تأتِ التي وعدتهُ في الحُلم يَومًا

فقررَ ألا يحلم أبدًا

فقد أوشكَ أن يطيح بنوارسهِ في الصَحراء

(7)

الوحدة تغرقه بالمقاهي

القهوة لا تغسل انديا الجنون

لا امرأة تروي ضياعه

تائهٌ وسط جزيرة غارقة في الهواء

متطلبات تعزيز الثقافة التنسيقية في العمل الخيري

د. نادية محمد السعيد الدمياطي

للعمل الخيري أهمية كبرى، فهو سبب في زوال الأحقاد والعداوات التي كثيرا ما توجد بسبب الطبقية، وفيه إحلال لروح التعاون والترابط والإخاء بين أفراد المجتمع؛ فالقوي يساعد الضعيف، والغني يعطي الفقير، وهو سبب في نشر العدل والأمن في المجتمع واستقراره، ولكي يتحقق صلاح المجتمع، فهو عامل من عوامل التوازن والتكامل بين الأغنياء والفقراء سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو دولاً.

والواقع أن العمل الخيري يرتكز على أصول أربعة، يستمد منها مشروعيته ويظهر فيها تطبيقه العملي في المجتمع المسلم، هذه الأصول هي:

العمل الخيري ركن ديني:

فالزكاة ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ)، (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

العمل الخيري هدي نبوي، فهو

(2-1) محبة قلبية فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الإنفاق في سبيل الله تعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم التفت إلى أحد فقال: (والذي نفسي بيده ما يسرني أن أحداً تحول لآل محمد ذهبا أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأدع منه دينارين إلا دينارين أعدهما للدين إن كان).

(2-3) مبادرة عملية: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يحب الإنفاق فحسب بل كان صلى الله عليه وسلم يبادر إليه، ولا يترك عنده من المال شيئاً إلا وينفقه في سبيل الله، ويتجلى ذلك في الصور التالية:

عن عقبة قال: صليت وراء النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة العصر، فسلم ثم قام مسرعا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته! فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال: (ذكرت شيئا من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته).

عن عائشة أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفهما قال: (بقي كلها غير كتفها).

(3-3) دعوة ترغيبية: فقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنفاق وحث أصحابه على الإنفاق في سبيل الله، عن أسماء رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ما لي مال إلا ما أدخل على الزبير فأتصدق! قال (تصدقي ولا توعي فيوعى عليك). وقال في خطبة يحث فيها أصحابه على الإنفاق: (... تصدق رجل من دينارة من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمره).

العمل الخيري تشريع إسلامي: لقد شرع الله الإنفاق وفرضة في الزكاة، وجعل مصارف أخرى للإنفاق، وجعل فيه الأجر العظيم، فمنها ما يكون تكفيراً عن الوقوع في خطأ أو حنث يمين أو غير ذلك أو تحقيقاً لنذر أو وقفاً في سبيل الله تعالى أو غير ذلك، ومن أوجه الإنفاق في الشريعة الإسلامية غير الزكاة:

الكفارات: ككفارة الظهار، وكفارة الجماع في نهار رمضان، وكفار اليمين. والأوقاف، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أصاب عمر بخيبر أرضاً، فأتى النبي

صلى الله عليه وسلم فقال: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟! قال:إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه).

وكذلك الصدقة عن الميت، فعن بن عباس أن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: نعم، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها).

ومن أبواب الإنفاق الخيرية في الإسلام تفطير الصائم، فعن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً).

وفي الأضحية حث النبي صلى الله عليه وسلم على الإطعام منها، عن سلمة بن الأكوع قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفي بيته منه شيء)، فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا في العام الماضي! قال: (كلوا واطعموا وادخروا؛ فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها).

العمل الخيري عمل إنساني: عن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي! فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟! قال: في كل كبد رطبة أجر).

مقومات تنسيق العمل الخيري في مملكة البحرين:

1- الصلاح والإصلاح وروح المسؤولية صفات ضرورية لمن اجتباه الله لمهمة العمل الخيري الإنساني، وهو يعد من أهم مقومات تنسيق العمل الخيري.

2- إخلاص العمل لله –عز وجل– ومداومة تجديد هذا الإخلاص مع الاستعانة والتوكل على الله سبحانه بعد اتخاذ الأسباب.

3- تحديد أهداف العمل الخيري؛ سواء كانت أهدافاً عامة أو أهدافاً خاصة، وسواء كانت أهدافاً قريبة أو بعيدة المدى.

4- وضوح الأهداف؛ فحتى يكون العمل ناجحاً لا بد أن تكون غايته واضحة لا تعتيم فيها ولا تغييم.

5- البحث عن أسهل السبل وأقصرها للوصول إلى هذا الهدف، وهذا من شأنه تحقيق منافع كثيرة للجهة العاملة من دون أن يستنزف منها جهداً أو وقتًا أو مالاً.

6- رسم خطط تفصيلية لجميع إدارات المؤسسات الخيرية مع متابعة تطبيق هذه الخطط.

7- العناية بالوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف وتحديد مهماتها.

8- حتى تكون البداية قوية ومجدية يكون البدء من حيث انتهى الآخرون في مجال التنسيق.

9- تنظيم هيكلة المؤسسة الخيرية وفق توازع مدروس لمهمات كل منتسب أو موظف لتلك الجهة، ومعرفة الأفراد –المنتمين إليها– بصلاحيتها المخولة لهم.

10- التحول من الارتجالية في العمل الخيري إلى التنظيم الإداري المنضبط، فهذا من شأنه تأسيس قواعد قوية ومتينة للعمل الخيري المنظم وبالتالي سيستمد بقاؤه ونفعه من قوة تنظيمه.

11- تنسيق مقنن ومدروس للطاقم العامل لدى الجهات الخيرية، وذلك من خلال رسم آلية للمقابلة الشخصية ومن ثم العمل التجريبي لدى تلك الجهة، لتأتي بعدها مرحلة الانتقاء للأفراد الذين سيشكلون فريق العمل، فالتنسيق الصحيح يسهم في:

توفير القدرة على استخدام سليم لطاقات العامل.

- يخفض كلفة الإعداد.
- يسرع في بلوغ الأهداف.
- يمنع التضارب ويحول دون الإحباط.
- عدم تحمل العامل فوق طاقته.
- تفهم العامل لأهداف وتطلعات المؤسسة.

12- من الأمور المهمة لنجاح العمل الخيري هو مراجعة دورية تقييمية لبرامجها ومشاريعها والتنسيق لأعمالها الخيرية، للعمل على تلافي الأخطاء وتجاوزها، ووضع دراسات لمعرفة أسباب الخطأ والإخفاق وعدم الجدوى في بعض البرامج والمشروعات، ولزيادة الإنتاجية فيما

كان صواباً، وتطوير وسائلها وأساليبها.

13- من المهم –أيضاً– بث روح الفريق الواحد لدى العاملين والعاملات؛ فمن أجل تحقيق أهداف المؤسسة الخيرية بنجاح لا بدَّ أن يتغلغل فيها مفهوم الروح الواحدة العاملة لقوة وعافية ذلك الجسد الواحد المتمثل في تلك المؤسسة الخيرية.

14- اطلاع ذلك الفريق بحسب ما تقتضيه مصلحة العمل على المخطط والبرامج، ومحاولة إشراكه في اتخاذ القرارات.

15- العمل على تحفيز العاملين بهذا المجال بأي نوع من أنواع التحفيز؛ فالتحفيز والتنشيط يلعبان دوراً بارزاً في المحافظة على العامل واستغلال طاقاته وخبراته المستجدة سواء على صعيد الجماعة أو المؤسسة. وثمة مجالات عديدة للتحفيز، منها:

- المشاركة: تعني أن يكون العامل في صلب العمل الذي تعمل به المؤسسة – الجماعة وليس على هامشها.

- الشفافية: أن يكون عمل المؤسسة أو الجماعة، معروفاً مرئياً؛ لا أهداف مستترة.

- الإبراز: يجب الاعتراف دائماً بإنجازات العامل وعطائه.

- الإدماج: يجب أن تتاح أمام العامل فرصة الاندماج في المؤسسة أو الجماعة، فيما لو رغب بذلك.

- التشاور: يجب إتاحة الفرصة لحوارات وأخذ آرائهم بعين الاعتبار.

16- البعد عن الروتين المسبب للملل والفتور لطاقم العمل، والقاتل للإبداع والتجديد.

17- الترحيب بأي فكرة أو برنامج أو

مشروع من غايته إذكاء عمل المؤسسة، والعمل على الاستفادة من الآخرين أيا كانوا سواء كانوا مستفيدين أو متعاونين أو متبرعين.

18- من أهم مقومات تنسيق العمل الخيري كسب ثقة المجتمع، من خلال الشفافية الواضحة في الإجراءات المالية، وقانوية الحسابات الخاصة بالمؤسسات الخيرية.

19- كما أنه من أدعى مقومات تنسيق العمل الخيري تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة معززاً -بواسطتها- الجانب الاجتماعي الخيري؛ وذلك من خلال قيام وسائل التنشئة كالأسرة والمدرسة والإعلام بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في نفوذ الناشئة منذ مرحلة الطفولة المبكرة، وهذا بدوره يسهم في نشر ثقافة العمل الخيري في أجيال الأمة.

20- استخدام جميع وسائل التقنية الحديثة في تنظيم وعرض العمل الخيري، وطرح الإجراءات الإلكترونية لسير المعاملات في الجهات الخيرية، وخاصة ونحن نسمع الآن عن التوجه إلى الحكومات الالكترونية.

21- الاحتفال بالنجاحات التي تحققها المؤسسات الخيرية، فهذا يسهم في تعزيز نجاحات المؤسسة، ومن ثم يعطيها لوناً من ألوان الثقة بينها وبين المجتمع.

22- زيادة بعض القطاعات المؤسسية المتميزة، سواء كانت حكومية أو قطاعا خاصا، والاستفادة من تجاربهم الناجحة.

23- إقامة الملتقيات والندوات العلمية الدورية حول سبل تطوير العمل الخيري.. مع إشراك أكبر شريحة من ممارسي العمل الخيري.

24- فتح حوارات دورية بين العاملين وقادة العمل الخيري في كل مؤسسة حول العقبات وسبل النهوض بالعمل الخيري تحت شعار ((الشفافية المطلقة)).

25- التدريب المستمر والدائم على رأس العمل، مع مراعاة حسن اختيار المدرب والمادة التدريبية ومناسبة الدورة للمتدرب وتوافقها مع توجهات ورؤية المؤسسة أو الجهة وذلك وفق نظام الحقائب الإدارية والتدريبية.

والثقافة التنسيقية هى عملية شخصنة المنظمة أي التأثير عليها بالسلوكيات الشخصية المنظمة أي التأثير عليها بالسلوكيات الشخصية للقيادات والمستويات الإدارية المختلفة[1].

مفهوم الثقافة التنسيقية:

وتعرَّف الثقافة التنسيقية بكونها نسقا يتكون من مدخلات تتمثل في ثلاثة عناصر رئيسية، هي: ثقافة الأفراد الذين يعملون في المنظمة، وثقافة المؤسسين والقادة وثقافة المجتمع الذي تعمل فيه المنظمة، ونتيجة تفاعل هذه المدخلات تتم عملية التكامل بين الأفراد، ومحاولات القادة للوصول أفضل الأساليب لتحقيق أهداف المنظمة، حيث تتكون للمنظمة ثقافتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من المنظمات وتظهر هذه الثقافة في مجموعات المخرجات من القيم والمعتقدات والمعاني التي

يعتنقها الأفراد ويتصرفون بناء عليها[2].

وفي إطار ما تقدم يمكن تعريف الثقافة التنسيقية على النحو الآتي:

(1-1) مجموعة من المعاني المشتركة التي تنتقل بين العاملين في الجمعيات الخيرية عبر اللغة والقيم والمشاعر والاتجاهات والتفاعلات والمعايير السلوكية.

(1-2) مجموعة الأفكار والقيم والمبادئ المهنية وكذلك الشخصية التي تشكل سلوك العاملين وطريقتهم في مجال العمل الخيري بالجمعيات الخيرية.

(1-3) الثقافة التنسيقية تعبر عن الثقافة السائدة في الجمعية الخيرية وتعبر عن مناخ العمل فيه من خلال روح الفريق أو جماعية العمل لإنجاز أهداف الجمعية الخيرية.

(1-4) القدرة على إتاحة الفرصة للعاملين في مجال العمل الخيري للإبداع التنسيقي والابتكار في العمل بما يتوافق مع الموقف المهني من دون أن تكون اللوائح والقوانين عقبة في أداء وزيادة.

(1-5) مجموعة من المقومات التي لا يمكن مشاهدتها أو لمسها، لكنها تشكل الأساس الذي تقوم عليه الجمعيات الخيرية، ويحرص العاملون على الالتزام بها من خلالها.

(1-6) مجموعة الاتجاهات والافتراضات التي تتوافر عند أعضاء فريق العمل، وقد لا تكون ظاهرة ومعلنة، ولكنها تشكل الطريقة التي يسلكها الأفراد ويؤدون بها العمل المنوط بهم.

(1-7) الثقافة التنسيقية القوية التي توجه ثقافة الأشخاص وفريق العمل بالجمعيات الخيرية لتحقيق رسالتها.

(1-8) تمثل الثقافة فلسفات وإستراتيجيات وقيم ومسلمات ومعتقدات واتجاهات ومعايير تشترك في تكوين شخصية المنظمة وسمات العاملين بها وسلوكياتهم.

(1-9) تتأثر الثقافة التنسيقية بطبيعة العلاقات السائدة بين العاملين في الجمعيات الخيرية من حيث كونها علاقات احترام وثقة ومشاعر متبادلة أو أنها علاقة صراع واختلاف وعدم التقدير واحترام الذات من الآخرين.

أهمية الثقافة التنسيقية:

ويمكن الإشارة إلى أهمية الثقافة التنسيقية في العناصر التالية: [3]

(2-1) بناء إحساس بالتاريخ: فالثقافة ذات الجذور العريقة تمثل منهجاً تاريخياً تسود فيه حكايات الأداء والعمل المثابر والأشخاص البارزين في المنظمة.

(2-2) إيجاد شعور بالتوحد: فالثقافة توحد السلوكيات وتعطي معنى للأدوار التواصل وتعزز القيم المشتركة ومعايير الأداء العالي.

(2-3) تطوير الإحساس بالعضوية والانتماء: وتعزز هذه العضوية من خلال مجموعة كبيرة من نظم العمل وتعطي استقراراً وظيفياً وتقرر جوانب الاختيار

الصحيح للعاملين وتدريباتهم وتطويرهم.

(4-2) زيادة التبادل بين الأعضاء: وهذا يأتي من خلال المشاركة بالقرارات وتطوير فرق العمل والتنسيق بين الإدارات المختلفة.

خصائص الثقافة التنسيقية:

(3-1) أنها إنسانية اجتماعية: أي أنها من صنع الإنسان الذي يشارك في صنعها بشكل تفاعلي داخل الجماعة التي ينتمي إليها.

(3-2) أنها مكتسبة عن طريق التعلم: حيث يكتسبها الأفراد من البيئة المحيطة بهم ومن نتاج تفاعلهم في المنظمة، لذا فإن الثقافة التنسيقية تكون مثابرة بالبيئة الخارجية والداخلية معاً.

(3-3) إنها بيئية: إذا تصدر من خلال البيئة التي وجدت فيها وتعبر عنها بشكل كبير.

(3-4) متكيفة: تتكيف مع البيئة المحيطة بها ومع احتياجات الأفراد الذين يعيشون فيها ومع الثقافات سواء المجتمعية أو التنسيقية الأخرى لها أيضاً[4].

(3-5) ديناميكية: تتميز بفاعليتها للتطور والتغير النسبي لتتلاءم مع المستجدات المحيطة بها.

(3-6) قابلة للتقسيم: إذا من الممكن أن تتواجد ثقافات فرعية تخص فئات محددة من الأفراد دون الآخرين داخل المنظمة.

(3-7) تراكمية مستمرة: إذا تتكون من تراكمات كل جيل بالإضافة إلى مكوناتها وعناصرها عبر الأجيال، حيث يعمل كل جيل على تعليمها أو توريثها للأجيال اللاحقة بالتعلم.

(3-8) كل مركب: إذن يوجد للثقافة التنسيقية ثلاثة مكونات رئيسية، هي:

المكون المادي، وهو كل ما هو من نتاج الفرد من مباني وديكور، وغيره، والمكون السلوكي، ويشمل أسلوب الأداء والعمل والعادات والتقاليد والآداب وأخيراً المكون المعنوي به الذي يشمل منظومة القيم والمعتقدات والمفاهيم والأفكار السائدة.

(3-9) إنها نظام متكامل: أي أنهت تتجة باستمرار إلى إيجاد الانسجام بين عناصرها، ما يعني أن أي تغيير يطرأ على أحد جوانب الحياة ينعكس أثره على باقي مكونات النمط الثقافي.

وظائف الثقافة التنسيقية:

(4-1) تقديم إطار للفهم المشترك للأحداث والظواهر المستجدة في البيئة المحيطة بالمنظمة.

(4-2) العمل على استمرارية الجماعات في المنظمة والإبقاء لدى الفرد والجماعة.

(4-3) تقديم الدليل المرشد السلوك في المنظمة، وذلك عن طريق نقل مجموعة من القيم والمعتقدات التنظيمية إلى العاملين بالمنظمة، لكي تحكم وتحدد التصرفات والممارسات بالمنظمة[5].

(4-4) تقديم مجموعة من المعايير والمعاني والقيم التي تساعد الأفراد في الحكم على الأشياء والتمييز فيها بينها.

(4-5) تشكيل نظام للرقابة التنسيقية يستند إلى معايير الجماعة وتحقيق الاستقرار الداخلي للمنظمة.

(4-6) تشكيل إطار مرجعي للعاملين للاستعانة به في توضيح نشاط الجمعية الخيرية.

أنواع الثقافة التنسيقية:

(5-1) الثقافة البيروقراطية: وتقوم هذه الثقافة على التحكم والالتزام حيث يتحدد فيها المسؤوليات والسلطات، ويتم التنسيق بين الوحدات وتتسلسل السلطة بشكل هرمي.

(5-2) الثقافة الإبداعية: تتميز بتوفير بيئة العمل التي تشجع وتساعد على الإبداع ويتصف أفرادها بالجرأة والمخاطرة في اتخاذ القرارات ومواجهة التحديات.

(5-3) الثقافة المساندة: تركز على العلاقات الإنسانية، وتتميز بالصداقة والتعاون بين العاملين.

(5-4) ثقافة العمليات: تركز على أسلوب إنجاز العمل، بغض النظر عن النتائج، ما يترتب عليه انتشار الحذر بين العاملين والاعتمام الشديد بتفاصيل عمله.

(5-5) ثقافة الدور: تركز على التخصص الوظيفي، وتهتم بالقواعد والأنظمة، وتوفر الأمن الوظيفي والاستمرارية وثبات الأداء.

(5-5) ثقافة المهمة: تركز على إنجاز العمل وتحقيق الأهداف، والاهتمام بالنتائج وترشيد استهلاك الموارد لتحقيق أفضل النتائج بأقل تكلفة ممكنة.

(5-5) ثقافة الوظيفة أو العمل: تعتمد على الاتصال والتكامل كأدوات تمكن المنظمة من التكيف والاستجابة للتغيرات البيئية المحيطة اعتماداً على الخبرات والمعلومات الحديثة ولكنها تحتاج لموارد ضخمة لتنفيذ الأفكار[6].

مكونات الثقافة التنسيقية:

(6-1) القيم التنسيقية: القيم عبارة عن اتفاقات مشتركة بين أعضاء المنظمة الاجتماعية الواحدة حول ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب، جيد وغير جيد، مهم أو غير مهم...إلخ، أما القيم التنسيقية فهي تمثل القيم في مكان أو بيئة العمل، بحيث تعمل هذه القيم على توجيه سلوك العاملين ضمن الظروف التنظيمية المختلفة، ومن هذه القيم توجيه جهود المنظمة نحو المستفيد، والاهتمام بالأداء واحترام الآخرين، والمساواة بين العاملين[7].

(6-2) المعتقدات التنسيقية: وهي عبارة عن تصورات مشتركة راسخة في أذهان العاملين في المنظمة، تدور حول طبيعة العمل والحياة الاجتماعية في بيئة العمل، وكيفية إنجاز المهام التنسيقية، ومن هذه المعتقدات المشاركة في عمليات صنع القرارات والمساهمة في العمل الجماعي، وأثر ذلك في تحقيق الأهداف التنسيقية.

(6-3) المناخ التنسيقية: هو ظاهرة شاملة ومتكاملة تنتشر في المنظمة، وتعبر عن مجموعة من الخصائص والصفات التي تميز هذه المنظمة عن غيرها من المنظمات، وهذه الخصائص تتميز بالاستمرار أو الاستقرار النسبي، وتكون بواسطة أعضائها.

(6-4) الإبداع التنسيقي: يعرف على أنه نتيجة تفكير، ونظراً إلى المألوف بطريقة غير مألوفة، ويتم تحويل ذلك إلى تصميم قابل للتنفيذ والاستعمال من خلال العلاقات الترابطية التي تنشأ في النفس لتلبية الاحتياج الشخصي أو الاجتماعي، ولتحقيق الأهداف وحل المشكلات الناشئة من المثير أو التعزيز والدافع، أو بسبب الجو الملائم والمناخ المساعد أو الإدراك والحدس.

(5-6) جماعية العمل: وتعرف بأنها مجموعة من الأفراد بينهم مجموعة من العلاقات التي تربطهم ببعض، وتسهم في إشباع حاجات كثيرة لديهم، وتساعد في تحسين الابتكار والتطوير في المهام التي تضلع بها، وتساعد في تحسين الابتكار والتطوير في المهام التي تضطلع بها الجماعة، كما أنها تقوم بدور رقابي على أعضائها من خلال التزامهم بمعايير المجموعة، وتؤدي دوراً جوهرياً في رفع مستويات أداء أعضائها من خلال بعض مشكلات العمل.

تصور مقترح لتفعيل متطلبات الثقافة التنسيقية لتطوير أداء العاملين في مجال العمل الخيري

المسلمات التي ينطلق منها التصور المقترح:

(1-1) أهمية قطاع الجمعيات الخيرية، حيث أصبحت إطاراً تعبوياً لتنمية المواطنين من أجل المشاركة الفاعلة في العملية التنموية المعتمدة في أساسها على البشر، ولذلك تعد هذه الجمعيات وسائط التغيير الاجتماعي، حيث تتجلى قدراتها في مدى التعبير بصدق وشفافية عن وجدان وضمير واحتياجات المجتمعات المحلية التي نعيش فيها وصياغة هذه الاحتياجات على شكل برامج ومشروعات خيرية.

(1-2) أهمية الثقافة في كونها تعطي للجمعيات الخيرية هويتها المحددة، حيث يمكن التعرف على الجمعية الخيرية من خلال الافتراضات الرئيسية والفهم والقواعد الضمنية التي تحكم سلوكيات أعضائها بالداخل، كما أنها تعزز الشعور بالولاء والانتماء وتحقق الاستقرار التنسيقي، كما أن وجودها يدعم العمل الجماعي وينظم العلاقات الإنسانية ويعين على فهم الأحداث التي تمر بها الجمعية الخيرية.

(1-3) أهمية التركيز على تجويد وتطوير الأداء المهني للعاملين في مجال العمل الخيري حيث يعد ذلك من العوامل الأساسية التي تعمل على استمرارهم في العمل وزيادة إنتاجيتهم والتقليل من الإعياء المهني لهم، والتأكد من جودة الخدمة التي يقدمها العاملين في مجال العمل الخيري.

(1-4) ما يمكن أن تسهم به وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بمملكة البحرين في تفعيل دور الثقافة التنسيقية لتطوير أداء العاملين في مجال العمل الخيري.

(1-5) الأهداف التي تسعى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بمملكة البحرين تحقيقها مع الجمعيات الخيرية.

(1-5-1) الهدف المعنوي: ويتمثل في نشر ثقافة تنسيقية إيجابية وقوية لدى العاملين في مجال العمل الخيري.

(1-5-2) الهدف المادي ويتمثل في الجوانب الآتية:-

(1-5-2-1) التركيز على أهمية إشراك العاملين في التعريف بجوانب الثقافة التنسيقية القائمة وتشجيعهم من خلال التحفيز المادي والمعنوي للمشاركة في تطوير القيم الإيجابية ومحاربة القيم السلبية.

(1-5-2-2) الاهتمام بالعدالة التنسيقية من خلال نشر عدالة التعامل مع العاملين في مجال العمل الخيري، حيث إن العدالة تقود إلى الرضا وينعكس ذلك على أسلوب أداء العمل ودرجة الارتباط بالجمعية الخيرية والحرص على مصلحتها.

(1-5-2-3) التركيز على إيجاد روح الولاء التنسيقي والانتماء داخل نفوس العاملين تجاه الجمعيات الخيرية من خلال الاهتمام بهم وخلق الإحساس بأهمية الدور الذي يشكلونه بالنسبة إليها.

> الاهتمام بالعدالة التنسيقية من خلال نشر عدالة التعامل مع العاملين في مجال العمل الخيري

أهداف التصور المقترح:

(2-1) التوعية بأهمية الثقافة التنسيقية الإيجابية للجمعيات في مجال العمل الخيري.

(2-2) تدعيم القيم التنسيقية الإيجابية التي تدعم العمل الخيري ومن هذه القيم (التنسيق بين الجمعيات الخيرية- الاهتمام بإدارة الوقت – الاهتمام بالأداء واحترام الآخرين).

(2-3) التوعية بالآليات التنسيقية الإيجابية التي تعمل تطوير أداء العاملين في مجال العمل الخيري وتعمل في ذات الوقت على مساعدة الجمعيات الخيرية على تحقيق أهدافها ومنها (طبيعة العمل – صنع القرار – التنافس في تجويد العمل).

(2-4) تأكيد جماعية العمل داخل الجمعيات الخيرية وتدعيم المسؤولية

الاجتماعية المشتركة والتي تتبلور في (إشباع حاجات الجماعة - الابتكار والتطوير - الرقابة على العاملين وتشمل "الرقابة الذاتية والرقابة من المستويات الأعلى").

(2-5) تأكيد توافر مناخ تنسيقي مناسب من شأنه العمل على بناء وتدعيم القدرات التنظيمية للعاملين في مجال العمل الخيري.

(2-6) إشاعة جو من الثقافة التنسيقية الإيجابية تعمل على خلق الابتكار والإبداع التنسيقي وتجويد الأداء المهني للعاملين في مجال العمل الخيري.

الأسس التي يستند إليها التصور المقترح:

(3-1) الاستفادة من النتائج التي أجمعت عليها البحوث والدراسات السابقة التي أجريت على الجمعيات الخيرية عامة وصور الثقافة التنسيقية خاصة.

(3-2) الاستفادة من آراء الخبراء والقيادات والأكاديميين في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية والجامعات المعنية بقياس أثر الثقافة التنسيقية الإيجابية على تطوير أداء العاملين في مجال العمل الخيري.

(3-3) الاستفادة من خبرات الدول الأخرى في تفعيل دور الثقافة التنسيقية في تطوير أداء العاملين في مجال العمل الخيري وتحديد المعوقات التي تحول دون ذلك وتذليلها.

الموجهات النظرية التي ينطلق منها التصور المقترح:

(4-1) نظرية المنظمات: ويمكن الاعتماد على المعطيات العلمية لنظرية المنظمات وذلك بهدف فهم طبيعة المنظمة وأهدافها والثقافة السائدة بها، والتي تشمل الثقافة القوية التي تتمثل في العلاقات والتفاعلات وجماعية العمل والابتكار والتطوير وأيضاً تشمل الثقافة التنسيقية التي تحول دون تحقيق أهداف المنظمة، وذلك لتقديم الثقافة القوية ومواجهة الثقافة الضعيفة.

(4-2) نظرية الأنساق: ويمكن الاستناد إلى الأساس الفكري لنظرية الأنساق وذلك بهدف تحليل الجمعيات الخيرية كأنساق اجتماعية مفتوحة تشمل المدخلات والمخرجات والعمليات التحويلية، وفي نفس الوقت معرفة العلاقة بين الجمعيات الخيرية كأنساق موجودة ضمن المؤسسات والهيئات بالمجتمع على المستوى الأفقي والرأسي.

متطلبات تحقيق التصور المقترح:

لكي يتم تحقيق التصور المقترح في واقع الممارسة يتحتم التركيز على مجموعة من المتطلبات التالية:-

(5-1) المتطلبات المعرفية: ويقصد بها إلمام العاملين في مجال العمل الخيري من المعارف والمعلومات المتنوعة عن ماهية الثقافة التنسيقية وأهميتها وخصائصها ووظائفها وأنواعها ومصادرها ومكوناتها وأهم العوامل المؤثرة فيها ومعوقاتها وتعميق الفهم حول كيفية تكوين ثقافة تنسيقية إيجابية وقوية تعمل على تحقيق أهداف الجمعيات الخيرية.

(5-2) المتطلبات الإدارية: ويقصد بها

تزويد العاملين في مجال العمل الخيري في الجمعيات الخيرية بمعايير السلوك الإداري والمهني؛ وذلك لإيجاد ثقافة تنسيقية قوية مثل الإخلاص والتفاني في العمل والالتزام بالموضوعية والاستقامة والعدل والارتقاء بالكفاءة المهنية وإذكاء سلوك التقويم الذاتي وتعميق الشعور بالمسؤولية الاجتماعية وإذكاء السلوك التنظيمي والتخطيطي والاستفادة من الإمكانات المتاحة.

(3-5) المتطلبات المهارية: ويقصد بالمهارة استخدام المعرفة الاستخدام الأمثل وتطبيقها عند التنفيذ وسرعة الإنجاز عند القيام بالدور المنوط به، وكذلك هي اختيار واع لنوعية المعرفة وثيقة الصلة بالمسؤولية التي يقوم بها المنظم الاجتماعي في الجمعيات الخيرية وذلك بهدف نشر ثقافة تنسيقية قوية لدى العاملين في تلك الجمعيات الخيرية، ثم إدماج هذه المعرفة مع قيم ومبادئ العمل الخيري بطريقة تؤدي الغرض وتوصل إلى الهدف المنشود والمراد الوصول إليه، ويشير الباحث إلى أن هناك العديد من المهارات التي يجب أن يكتسبها العاملون في مجال العمل الخيري لكي يصبح لديه ثقافة تنسيقية إيجابية ومنها:-

(4-5) المهارة في إيجاد مناخ تنسيقي يساعد على جماعية العمل والإبداع التنسيقي من خلال:-

(5-4-1) المهارة في الملاحظة - المهارة في تقويم الذات - المهارة في التسجيل.

(5-4-2) المهارة في إدارة الوقت - المهارة في تكوين علاقات مهنية.

(5-4-3) المهارة في دراسة المشكلات وتحديد أسبابها واقتراح الحلول لها.

(5-4-4) المهارة في الاتصال.

آليات تحقيق التصور المقترح:

(6-1) عقد العديد من الندوات المعنية بمفهوم الثقافة التنسيقية ومكوناتها أو أنواعها وكيفية بناء ثقافة تنسيقية إيجابية تساعد على تحقيق أهداف الجمعية الخيرية.

(6-2) تنفيذ ورش عمل تهدف إلى تزويد العاملين في مجال العمل الخيري بماهية الثقافة التنسيقية وكيفية الاستفادة منها في تطوير أدائهم المهني بالطريقة المنشودة.

(6-3) تنظيم اللقاءات التي تجمع بين الخبراء والأكاديميين والعاملين في مجال العمل الخيري بهدف تأصيل مدخل الثقافة التنسيقية وكل القضايا المرتبطة به.

(6-4) إجراء المزيد من الدراسات المعنية بتحديد الأسباب المؤدية إلى تدني استعداد العاملين في مجال العمل الخيري تجاه التغيير والتطوير بالجمعيات الخيرية.

(6-5) القيام بعقد الدورات التدريبية باستمرار للعاملين بمجال العمل الخيري حول الثقافة التنسيقية وإطلاعهم على كل ما هو جديد، وكذلك إمدادهم بالوسائل التكنولوجيا الحديثة لإنجاز أعمالهم وتبني الأفكار الجديدة والجيدة لإحداث تطوير الجمعيات الخيرية وإكسابهم المهارات السلوكية ومهارات بناء فريق العمل.

(6-6) العمل المستمر من جانب إدارة الجمعيات الخيرية على ربط أهداف العاملين في مجال العمل الخيري بأهداف الجمعيات الخيرية التي يعملون بها وإيجاد نوع من التكامل بين هذه الأهداف وتبني نماذج مختلفة تسهم في تحقيق الجودة في أداء العاملين بما يتواءم مع مكونات الثقافة التنسيقية الفعالة.

الأدوات والوسائل المستخدمة في تحقيق التصور المقترح:

(الاجتماعات – الندوات – ورش العمل – المناقشات الجماعية – الدورات التدريبية – المؤتمرات – اللجان – النشرات – الدورية) مع مراعاة استخدام كل أداة بحسب متطلبات المواقف التي يتعامل معها العاملين في مجال العمل الخيري.

الاستراتيجيات المستخدمة في تحقيق التصور المقترح:

– التدعيم: وذلك لإكساب العاملين بالجمعيات الخيرية الثقافة التنسيقية القوية بما يحقق أهداف تلك الجمعيات الخيرية.

(8-1) المشاركة: الاستفادة من الخدمات والبرامج التي تقدمها الجمعيات الخيرية في إكساب العاملين القدرات اللازمة للعمل من خلال مدخل الثقافة التنسيقية.

(8-2) إستراتيجية التدريب: لتدريب العاملين في مجال العمل الخيري على كيفية تكوين الثقافة التنسقية القوية.

(8-3) إستراتيجية العضوية المشتركة: وذلك لتفعيل ومساعدة الجمعيات الخيرية على إقامة شبكة من العضوية المشتركة بين الجمعيات الأخرى لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالمملكة.

(8-4) إستراتيجية التكتل: وذلك لتحقيق التعاون بين الجمعيات الخيرية لخلق ثقافة تنسيقية قوية تسود هذه الجمعيات من شأنها إيجاد مناخ تنسيقي مناسب، وتؤكد جماعية العمل وتعمل على إشاعة جو يسمح بالإبداع التنسيقي.

التكنيكات المستخدمة:

(9-1) التعليم والتدريب.

(9-2) الاجتماعات.

(9-3) المناقشات الجماعية.

(9-4) اللجان المشتركة.

الأدوار المقترحة للمنظم الاجتماعي:

(10-1) دور الخبير: بمده بالمعلومات والمعارف التي تساعد في بناء ثقافة تنسيقية قوية.

(10-2) دور الممكن: وذلك لتشجيع العاملين في مجال العمل الخيري على الاستفادة من مدخل الثقافة التنسيقية.

(10-3) دور المنمي: بتولية وإشرافه على وضع الخطط ومتابعة البرامج التدريبية المقدمة من الجمعيات الخيرية.

الأجهزة المشاركة في تحقيق التصور المقترح:

(11-1) وزارة الثقافة والإعلام بأجهزتها المختلفة؛ وذلك من خلال برامجها وأنشطتها المتنوعة والهادفة إلى نشر مفهوم الثقافة التنسيقية القوية ومتطلبات

تحقيقها والمردود الإيجابي لها.

(11-2) الجمعيات الخيرية وكل منظمات المجتمع المدني؛ فهي الأكثر حرصاً على نشر مفهوم الثقافة التنسيقية الايجابية وتدعيمها، ويجب أن يتم ذلك من خلال المنظومة الإعلامية.

(11-3) وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

الخاتمة

لقد تعاظم الاهتمام بالثقافة التنسيقية؛ لما لها من أثر واضح على فعالية الأداء في الجمعيات الخيرية، حيث يوفر تجانس الثقافة التنسيقية بين مستويات الجمعية الواحدة نوعا من توفير مسارات أداء موحدة بين جموع العاملين بهذه المنظمة، والعكس صحيح تماماً من حيث المعوقات التي تقف حجر عثرة في الأداء، وليس ذلك فحسب، بل يستطيع المديرون عن طريق التعامل مع الثقافة التنسيقية التعرف على المكونات الثقافية بالمؤسسة التي تحتاج إلى التثبيت، وتلك تحتاج إلى إعادة صياغة أو التي تحتاج إلى التغيير.

ولذلك، فإن فهم واقع الجمعيات الخيرية لا يتم إلا من خلال التركيز على الإطار الثقافي الذي يحيط بها ويؤثر فيها، ومعنى هذا أن الواقع هنا يمثل شأن فرد خاص أي "رؤية ذاتية" ومن خلال الرؤى الذاتية للأشخاص يتكون التفسير بالجمعية الخيرية، بصفة مستمرة مع أعضائها رهن التعرف الدقيق على واقع ثقافتها التنسيقية.

نتائج الدراسة:

1- الوضوح التنسيقي: فهم أعضاء الجمعيات الخيرية لأهداف وخطط الجمعيات ومشاركتهم في وضعها.

2- البناء الهيكلي لصناعة القرار وتوفير الحرية الكاملة لتبادل المعلومات بين أجزاء التنسيق.

3- التكامل التنسيقي: وجود التعاون الفعال بين وحدات التنظيم المختلفة لتحقيق أهداف الجمعية الخيرية.

4- تاريخ الجمعية الخيرية: إلمام العامل بتاريخ جمعيته، وطرائق العمل بها، وقدرة التنسيق على خلخلة الوضع غير المرغوب فيه وتقديم لتغيير اللازم.

5- توازن قيادي يشجع على تعبير العاملين عن آرائهم بحرية، لاستثمار قدراتهم ومواهبهم وإمكاناتهم المتاحة.

6- التنشئة: التنشئة الرسمية أو غير الرسمية التي يتعرض لها العاملون عن التحاقهم بالجمعية على المستوى الفردي أو الجماعي، ويتعلمون من خلالها أدوارهم وطرائق إنجاز العمل.

7- تنمية العنصر البشري: تنمية مهارات ورفع قدرات وصقل خبرات العاملين إلى أقصى حد ممكن، والحرص على إيجاد التوافق بين أهداف الجمعية وأهداف العاملين.

وفي ضوء ذلك ينحصر دور الثقافة التنشئة في تحسين أداء العاملين في مجال العمل الخيري بالجمعيات الخيرية على النحو التالي:

1- تؤدي الثقافة التنسيقية المرنة إلى تحسين قدرات العاملين وإطلاق طاقاتهم ومعارفهم ومنحهم سلطة كافية لمعالجة المشكلات، وهذا يتطلب تخفيض عدد المديرين وإفساح المجال للباقين لضمان سلامة الأداء.

2- تعمل الثقافة التنسيقية على تحسين آليات حل المشكلات التنسيقية المعقدة، ومعالجة السلبيات الفنية التي تعاني منها الجمعيات، بهدف جلب بيئة مناسبة للإبداع والابتكار بين العاملين.

3- إشاعة الثقافة والحضارة التنسيقية المحفزة بتوظيف المعرفة السلوكية والعلمية المتاحة، وتطبيق تقنيات التدخل والتجريب بهدف تحسين الأداء وزيادة فاعلية الجمعيات لتمكينها من تحقيق أهدافها وأهداف العاملين فيها.

4- تحسين نوعية الحياة الوظيفية والمجتمعية والبيئية التي تسهم في بقاء وإنماء الجمعيات وتنشيط دورها في إسعاد الأفراد والجماعات وتنمية المجتمعات.

5- تعمل على حسن تكيف الجمعية مع المتغيرات البيئية في الاستمرار والبناء.

6- تساعد الثقافة التنسيقية على تكوين رؤية متكاملة ومشتركة بين أعضاء المنظمة بشأن رسالتها وأهدافها وإستراتيجيتها في سعيها لتحقيق أهدافها، إذ يتحمل كل عضو مسؤوليته من دون أن يطلب أحد منه ذلك.

7- كما تساعد الثقافة التنسيقية الإيجابية على تعريف العاملين بمعايير التطور والتقدم الوظيفي ومعايير بلوغ أو المراكز التنسيقية.

الهوامش والمراجع:

المراجـــــع

–1 الحكمي، علي بن صديق (1432هـ)، التربويون والمجتمع.. معاً نحو مجتمع التعلم، ندوة ماذا يريد المجتمع من التربويين وماذا يريد التربويون من المجتمع، الرياض، 20/11/1423–18هـ.

–2 الردادي، عوض بن بنية (1423هـ)، واقع الجمعيات الخيرية ومستقبلها، ندوة الرؤى المستقبلية لأعمال الجمعيات الخيرية في المملكة العربية، الرياض.

–3 الزهراني، عبدالرازق بن حمود (1423هـ)، الجهود التطوعية وسبل تنظيمها وتفعيلها ندوة الجهود التطوعية في الجمعيات الخيرية في المملكة وسبل تنظيمها وتفعيلها، المملكة العربية.

–4 السبيل، إبراهيم بن محمد (1422هـ)، العمل التطوعي في المملكة والواقع والأمل، الندوة السنوية الثالثة في مجال تدريب قيادات الجمعيات غير الربحية، مركز الدراسات والتدريب والأبحاث في مستشفى الملك فهد بجدة، المملكة العربية.

–5 آل سعود، سلطان بن سلمان (1423هـ)، العمل الخيري وتنمية المجتمع، ندوة الرؤي المستقبلية لأعمال الجمعيات الخيرية في المملكة العربية، الرياض.

–6 الصغير، صالح بن محمد (1423هـ)، الجهود التطوعية وسبل تنظيمها وتفعيلها ندوة الجهود التطوعية في الجمعيات الخيرية في المملكة وسبل تنظيمها وتفعيلها.

–7 الأصبيعي، محمد إبراهيم (1421هـ)، العمل التطوعي في المجالات الأمنية نماذج وتطبيقات مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي الجزء الثاني (أ/1)8.

–8 القرشي، فريد محمد ياسين (1422هـ)، أدوار جديدة مرتقبة للجمعيات والمؤسسات غير الربحية والتطوعية، المملكة برنامج تطوير الجمعيات غير الربحية بالمملكة العربية السعودية، مستشفى الملك فهد بجدة.

–9 اليحي، يحي بن إبراهيم (1423هـ)، الرؤى المستقبلية للأعمال الجمعيات الخيرية، ندوة الرؤى المستقبلية لأعمال الجمعيات الخيرية في المملكة العربية الرياض.

الرجل الأعمى
قصة الكاتبة الأمريكية: كيت شوبان

رجل يحمل صندوقا أحمر صغيرا بيدٍ واحدةٍ
يهبط أسفل الشارع.
قبعته القديمة المصنوعة من القش، وثيابه
الرَّثة تبدو وكأن المطر ضربها كثيراً، وأن
حرارة الشمس جففتها مرات عديدة.
لم يكن الرجل عجوزاً، إلا أن علامات الوهن
تبدو جَليّةً عليه.
مشى الرجل ذاهلاً تحت الشمس على
امتداد الرصيف الكالحِ الحارِق.

ترجمة: أميرة الوصيف

في الصندوق الأحمر الصغير أقلام رصاص، كان الرجل يسعى جاهداً إلى بيعها.

لم يكن الرجل الأعمى يملك عصا، ولكنه كان يُرشِد نفسه، إما بسَحب قدميه على امتداد أحجار الواجهات، أو من خلال تَتَبع يديه السياج الحديدي.

عندما وصل الأعمى إلى درجات منزل ما، حاول أن يصعده، في بعض الأحيان عندما يصل الرجل إلى الباب بعد تكبده العناء، لا يفلح في إيجاد الزر الكهربائي، وعندها يحاول الرجل النزول بصبرٍ واضح ويذهب في طريقه.

بعض البوابات الحديدية مُقفَلة، سافر أصحابها في إجازة الصيف، كان الرجل الأعمى يستهلك وقتاً طويلاً يُجاهِد في فتح تلك البوابات، ولعل ما يحدث فارقاً هو أن الأعمى يظن أن الزمن كله تحت تصرفه.

في ذلك الوقت، نجح الرجل الأعمى في إيجاد الزر الكهربائي، ولكن الرجل أو الخادم الذي أجاب جرس الباب، لم يكن بحاجة إلى أقلام رصاص، وليس لدية أي نية للتورط في إزعاج سيدة المنزل حول مثل تلك الأشياء التافهة.

ظل الرجل في الخارج طوال الوقت، ومشى مسافاتٍ طويلة من دون أن يبيع شيئا.

ذات نهار، قام شخص ما بمنحه ذلك الصندوق المليء بأقلام الرصاص، وأرسله ليكسب عيشه بعد أن سئم من تجوال ذلك الأعمى في كل مكان.

في الاتجاه المُعاكس من الشارع، يوجد مزيد من الأشجار؛ التي تُلقي بظلالها، كان الناس جميعهم يمشون في ذلك الاتجاه إلا ذلك الرجل؛ لكونه أعمى، وعلاوةَ على ذلك؛ لكونه غبيًّا.

الجوع بأنيابه الحادة قرص معدته، والظمأ الشديد جَفف فمه، وعذّبه.

كانت الشمس تغلي، تجول الرجل الأعمى في ملابسه الثقيلة، كان يرتدي سُترَة ومعطفا فوق القميص، كان بإمكانه تغيير هذه الثياب، وحملها على ذراعه، أو إلقاؤها بعيداً، لكنه لم يفكر في ذلك.

شاهدته امرأة عطوفة من نافذتها بالأعلى، شعرت بالأسى حياله، وتمنت لو بإمكانه عبور الطريق إلى حيث الظِل.

عرج الرجل الأعمى إلى الشارع الجانبي حيث الجَلَبة والضوضاء التي أحدثها مجموعة أطفال أشقياء أثناء اللعب.

جذب لون الصندوق الصغير الذي يحمله الرجل الأعمى انتباه الأطفال، وأرادوا بشدة

أن يكتشفوا ما يوجد في داخل الصندوق، حاول أحد الأطفال أن يأخذه ويهرب، إلا أن غريزة الرجل الأعمى لحماية نفسه والدفاع عن مصدر رزقه الوحيد جعلته يُقاوِم، ويصرخ في الأطفال، وينعتهم بالشتائم.

جاء أحد رجال الشرطة إلى حيث الجَلبَة الموجودة في زاوية الشارع، وعندها وجد أن الرجل صاحب الصندوق هو مركز التوتر والإزعاج، اقترب منه الشرطي، وجذبه من ياقته، ولكن عندما رأى أنه أعمى، امتنع عن ضربه، وأرسله في طريقه ليكسب عيشه.

عاد الرجل مرة أخرى، يمشي تحت الشمس الحارقة، هائماً على وجهه، يتجول بلا فائدة، ثم انعطف إلى شارع مزدحم بالسيارات الكهربائية الوحشية التي لا تَكفّ عن إصدار أصوات صاعقة ذهاباً وإياباً، تُطلَق أجراساً مُفزعة، حرفيا كانت الأرض ترتعش تحت قدميه من قوة دفعها المُريعة.

عندما بدأ الرجل الأعمى يعبر الشارع، شيء ما حدث، شيء ما مُريع حدث، شيء ما جعل النساء تُصعَق، وجعل أقوى الرجال يشعرون بالمرض والدوار!

شفاه السائق كانت شاحبة تماماً كوجهه، ارتعش الرجل و تَرَنّح من هَول الجهد البشري الخارق الذي بذله من أجل إيقاف سيارته.

من أين أتت كل هذه الجماهير فجأة؟! هل جاءت بفعل السِحر؟

الأولاد يهربون، الرجال والنساء يذرفون الدمع لمُصافحة أعينهم ذلك المشهد الأليم، الأطباء يندفعون مع حقائبهم، وكأن السماء هي مَن قامت بإرسالهم مُباشرةَ إلى هنا.

تنامى الرعب والفزع عندما أدرك الحشد أن الرجل الميت، صاحب الوجه المُشَوه هذا هو أحد الأشخاص الأكثر ثراءً، الأكثر قيمة، الأكثر تأثيراً في المدينة!

رجل مثله معروف بحصافته، وحكمته، وبصيرته النافذة كيف يلاقي هذا المصير الرهيب؟!

كان المسكين يقود بسرعة بالغة من مقر عمله حتى يَلحق بأسرته التي ستبدأ عطلتها الصيفية خلال ساعة أو اثنتين في منزلهم الصيفي على ساحل المحيط الأطلسي.

أثناء عجلته، لم يَلمح السيارة الأخرى القادمة من الاتجاه الآخر، وعندها تكرر الشيء الشائع المروع الأليم نفسه.

لم يكن الرجل الأعمى يعرف شيئا عن كل هذه الضَجة، كان قد عبر إلى الشارع، هناك، حيث لا يزال يتعثر تحت أشعة الشمس الحارقة، ساحباً قدميه على امتداد أحجار الواجهات.

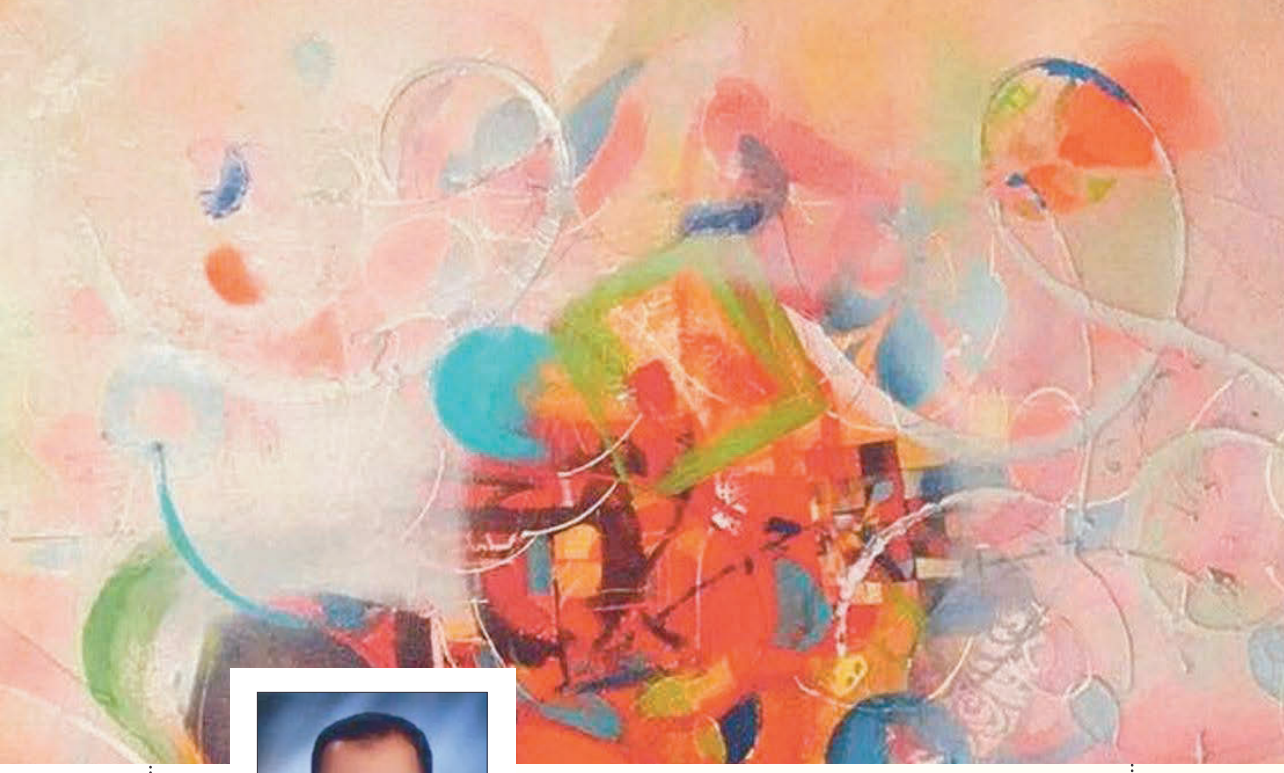

محمد عباس علي

بابور أم هاشم

قصة قصيرة

أم هاشم العجوز التي تقطن وحيدة على سطح بيتنا سمعت صوتها ضعيفاً قرب الفجر يستغيث، كنت متيقظاً والصمت ستار الكون والظلمة في الخارج سيدة الأماكن، هرولت صاعداً السطح، دفعت الباب نصف الموروب متحفزاً، توقفت مكاني مصلوب النظرات على دهشة قيدت روحي، حدقت متشككا فيما أرى.. عم محمد بائع الفول الذي يقطن بالدور الأرضي والذي يعيش وحده مع الوابور الضخم الذي يوش طول الليل حاملاً قدر الفول في مدخل البيت بجوار غرفة الخزين التي يضع فيها حاجاته من الزيت والملح والفلفل والبصل وغيرها مما يضعه على عربته ويقدمه للزبائن، بالإضافة إلى الخبز، ينضج قدر الفول تماماً مع بزوغ الفجر فيحملها على عربته الخشبية منطلقا بها إلى أول الحارة مستقبلا زبائنه الكثيرين رافعاً صوته الغليظ منبهاً الخلق حوله:

- يا أحلى ما للوز يا فول..

رأيته جالساً في سكون أمامها على الكنبة رافعا يدي التوسل نحوها وهي منكمشة في بعضها تنظر بعين القلق نحوه، وعيناها في ارتجافة أهدابها لا تهدأ

- ما الذي يجري هنا؟

قلتها وقد أدركت الأمر من الوهلة الأولى

صرخت المرأة:

- الحقني يا بني

استدار نحوي كأنما وجد مغيثاً من غرق أكيد:

- الحمد لله إنك جئت، احضرنا.

لم أبال بالرد عليه، عدت أسألها:

- مالك يا ست أم هاشم؟

قال بقوة وهو يحاول الإمساك بيدي:

- أطلبها في الحلال، هي وحيدة وأنا وحيد.

استدرت إليها، قالت بإصرار:

- لا يمكن أبدا، خليه ينزل.

حينما غادر محني الرأس والروح هدأتُ من روعها، سألتُها باسما لماذا ترفضه وهو كسيب ومحبوب وفوق هذا يصنع حبة فول مثل اللوز كما يقول.

قالت معترضة بجد:

- أتزوجه وأعيش مع وش الوابور طول الليل، لا يا خويا.

قلت مازحا :

- وإذا غيّر الوابور واشترى بوتاجاز لا يصدر صوتاً، هل تقبلين؟

لاحت في عينيها علامات قبول ولزمت الصمت..

هرولت نازلا إلى أسفل.. اقتحمت حجرة عم محمد الذي كان جالساً بجوار القدر واضعا رأسه بين يديه متكاسلا عن الخروج مثل بقية الأيام. أخبرته بما لدي، امتلأت عيناه بالبشر، قبلني فرحاً وقام إلى القدر نشيطاً.

في اليوم التالي رأيت بوتاجازا كبيرا بجوار حجرة الخزين، عليه قدر الفول، وعم محمد حليق الوجه يضع مريلة نظيفة فوق ملابسه، وابتسامة على شفتيه وهو يرفع صوته منغما الحروف في سرور:

- يا أحلى ما للوز يا فول..

رئيس مجلس الأمناء
يطمئن على سير العمل بالجائزة

أ. مبارك سعد العطوي

أعرب سعادة رئيس مجلس الأمناء الأستاذ خالد محمد كانو على إرتياحه لسير الأعمال بالجائزة والتجاوب الكبير من المشاركين في مسابقات الدورة العاشرة (٢٠١٩).

وأكد بأن الموضوعات والمجالات التي تم اختيارها في هذه الدورة تعد نوعية ومميزة والتي تمثلت في:

١. مجال الاقتصاد – الطاقة المتجددة (على المستوى العربي).

٢. مجال الأدب – رواية القضايا الإنسانية (على المستوى العربي).

٣. مجال البحث العلمي الجامعي – جامعةالبحرين (على المستوى المحلي).

٤. مجال الفن التشكيلي – الرسم، النحت والخزف (على المستوى المحلي).

زيادة الإهتمام بالموقع الالكتروني

وأصدر توجيهاته للجنة التنفيذية بالإعداد والترتيبات لترشيح اللجان التحكيمية وتقديم مقترح خطة العمل للجنة للمرحلة المقبلة مع وضع تصور شامل مبدئي لشكل ونوعية الاحتفال لتكريم الفائزين ورفعها للمجلس في اجتماعه القادم.

وأكد عن سعادته للتطويرات الخاصة بالموقع الرسمي للجائزة وما احتواه من معلومات ورصد لمسيرة الجائزة والفعاليات التي تم تنفيذها ومتابعة للمسابقات الماضية والحالية.

كما أعرب عن سعادته لإستجابة الجامعات الخليجية والعربية لترشيح محكمين متخصصين في مجالات الجائزة لهذه الدورة.

الأستاذ خالد محمد كانو

كما أصدر في ختام تصريحه توجيهاته للأمانة العامة بالإعداد والتنسيق مع الأخوة الأعضاء لتقييم تجربة الجائزة ضمن الإستفادة من النجاحات الكثيرة للمواقع الإجتماعية والتجارب الناجحة التي حققتها هذه المواقع بالنسبة للشركات والمؤسسات الوطنية والثقافية والإجتماعية.

خلال لقاء رئيس جامعة البحرين مع الأمين العام ا لجائزة يوسف بن أحمد كانو

الأمين العام يزور جامعة البحرين

اجتمع الأمين العام الأستاذ مبارك سعد العطوي مع سعادة رئيس جامعة البحرين الأستاذ الدكتور رياض يوسف حمزة واللجنة العليا المشرفة والمكلفة لمتابعة ومشاركة طلبة الجامعة في مسابقات الجائزة في مجال البحث العلمي الجامعي.

ونقل الأمين العام تحيات وتقدير سعادة رئيس مجلس الأمناء وجميع أعضاء المجلس وأعرب عن سعادته للمتابعة والتنسيق والمبادرات الإيجابية الكثيرة التي تم طرحها من قبل الأساتذة أعضاء اللجنة الأكاديمية وتأكيد تعاونهم لإنجاح هذه المشاركة والمسابقة وتشجيع عملية البحث العلمي وتحفيز الطلبة والأساتذة لزيادة الاهتمام بهذه القضية الهامة والحيوية ولتشجيع العملية الإبداعية والبحثية لطلبة جامعة البحرين.

وأثنى سعادة رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور رياض يوسف حمزة على هذه المبادرة النوعية للتعاون بين القطاع الخاص والمؤسسات الحكومية والأهلية، وقدم شكره وتقديره لسعادة رئيس مجلس الأمناء الأستاذ خالد محمد كانو وعائلة كانو الكرام. مقدراً ودعمهم وتشجيعهم المبدعين والمتميزين من أبناء الوطن العزيز والاهتمام بأعمالهم المميزة ونتاجهم وإبداعاتهم من أجل خدمة الناس والمجتمع.

مكتبة الشيخ عيسى بن سلمان

الجائزة تهدي إصداراتها إلى الهيئات الثقافية والعلمية بالمملكة

إنطلاقاً من خطة الأمانة العامة بجائزة يوسف بن أحمد كانو للتوزيع والنشر والتواصل مع الهيئات الثقافية والعلمية والمؤسسات الحكومية والخاصة فقد قامت الجائزة بحملة توزيع واسعة للإصدارات والكتب الثقافية والعلمية شملت الأبحاث الفائزة التي تم طباعتها وأعداد من المجلة الثقافية وأعداد من الكتب الأدبية الأخرى دعماً وتوثيقاً للأعمال والتي تقوم جائزة يوسف بن أحمد كانو وتشجيعاً للمبدعين والفائزين الذين فازوا بالجائزة في الدورات السابقة وللترويج لإصداراتهم النوعية والمميزة والتي تم إهدائها للجائزة، حيث يأتي ذلك ضمن مشروعات التعاون والتنسيق مع تلك الهيئات الثقافية والعلمية وجائزة يوسف بن أحمد كانو لتبادل المطبوعات والإصدارات.

لوحة للفنان عبدالكريم العريض